الفصـــل الثالث

تمثل الوافد مع تنظير الموروث

أولاً: يحى بن عدى، والعامرى، ومسكويه، وابن سينا.

"تمثل الوافد مع تنظير الموروث" نوع أدبى ثالث، حالة افتراضية خالصة لا وجود لها إحصائيا من حيث التعادل الكمى بين نتائج تحليل المضمون للوافد وتحليل المضمون للموروث. هذا التعادل الاحصائى الكمى الدقيق لا وجود له تجريبياً. هذا النوع مجرد معبر بين نوعيين أدبيين متقابلين، تمثل الوافد قبل تنظير الموروث (الفصل الثانى) وتنظير الموروث قبل تمثل الوافد. وهو الفصل الأول من بداية التراكم الفلسفى (الباب الثالث). ولا يعنى التعادل التساوى الكمى المطلق. بل هو فى الغالب أولوية تمثل الوافد من حيث العمق أى من حيث تردد بعض الأسماء مثل ديسقوريدس أو جالينوس وأولوية تنظير الموروث من حيث الاتساع أى عدد الأعلام المذكورة. تمثل الوافد عن طريق أسماء وأعلام قليلة وترداد الأول منها كثير، وتنظير الموروث عن طريق عدد أسماء أعلام كثيرة وترداد الأول منها قليل. وكان من الأفضل وضع حرف العطف "مع" أفضل من "و" بالرغم من إفادة كل من الحرفين معنى التعادل دون أولوية أحدهما على الآخر. وقد يكون "مع" أكثر دلالة من "و" حتى يتفق مع استعمالات حروف العطف الأخرى مثل "قبل" فى "تمثيل الوافد قبل تنظير الموروث"(الفصل الثانى) أو تنظير المورث قبل تمثل الوافد (الفصل الأول من الباب الثالث). ولم يستعمل حرف "بعد" لأن الأولوية باستمرار للقبل على البعد فى النوع الرابع تنظير الموروث قبل تمثل الوافد (الفصل الأول من الباب الثالث) وليس تمثل الوافد بعد تنظير الموروث حتى لا يكون المعيار باستمرار هو الوافد سواء كان قبلا أو بعدا.

وقد يدل عدم التناسب الكمى بين الأنواع الأدبية الست على مراحل التحول من النقل إلى الإبداع. فبينما يبدو "تمثل الوافد" (الفصل الأول) صغيرا نسبياً فان "تمثل الوافد قبل تنظير الموروث" (الفصل الثانى) يبدو ضعفه نظراً لأنه يتعامل مع مصدرى الفكر، الوافد والموروث، وليس مع مصدر واحد. ويعود "تمثل الوافد مع تنظير الموروث" إلى الصغر النسبى لأنه مجرد حالة افتراضية لاوجود لها احصائيا، مجرد ممر أو انتقال من "تمثل الوافد قبل تنظير الموروث" (الفصل الثانى فى التأليف) إلى تنظير الموروث قبل

تمثل الوافد (الفصل الأول فى التراكم).

وبطبيعة الحال إلا يظهر هذا التعادل بين تمثل الوافد وتنظير الموروث قبل القرن الرابع الهجرى نظراً لانشغال المترجمين والفلاسفة الأوائل إما بتمثل الوافد (الفصل الأول) أو بتمثل الوافد قبل تنظير الموروث (الفصل الثانى). فالتعادل بين المصدرين يحتاج إلى معرفة متساوية للاثنين وهو ما تم عند العامرى ومسكويه وابن سينا فى القرن الرابع الهجرى.

١- **يحيى بن عدى.** ويبدو تمثل الوافد مع تنظير الموروث" أيضاً عند المترجمين مما يدل على ان الترجمة ليست فقط تمثلاً للوافد قبل تنظير الموروث بل إن تمثلها للوافد يعادل تنظيرها للموروث لأنها تعمل بين ثقافتين، تنقل النص من ثقافة الوافد إلى ثقافة الموروث.

فمن رسائل يحيى بن عدى (٣٦٤ هـ) "**جواب عن كتاب أبى الجيش النحوى فى ما ظنه ان العدد غير متناه**" يظهر تعادل الوافد، فيثاغورس، مع الموروث، أبو الجيش النحوى [١]. يعتمد يحيى بن عدى على برهان فيثاغورس لاثبات أن العدد متناه سواء كان عن طريق الاتصال أو الانفصال. ثم يضيف دليلاً جديداً يقوم على إثبات تناهى الكمية. والعدد كمى فهو اذن متناه. ويضيف دليلا ثانياً يقوم على قسمة العدد إلى زوج وفرد وكلاهما نوع متناه. فالموروث يسأل والوافد يجيب. الواقع يثير الشكوك والوافد يعطى اليقين دون الاكتفاء بالنقل بل بزيادة براهين العقل. فالعقل هو الجامع بين الوافد والموروث.

٢- **العامرى.** فى "**الأمد على الأبد**" للعامرى (٣٨١ هـ) يتصدر الوافد على الموروث فى العمق بينما يتصدى الموروث على الوافد فى الاتساع. فمن الوافد يتصدر ذو القرنين أو الاسكندر ثم فيثاغورس وأفلاطون وأرسطو ثم سقراط ثم أرشميدس وديوجانس الكلبى وديمقراطيس الطبيعى وأومبرس وجالينوس وأقليدس وسقراط الطيب وبرقليس الدهرى ويحيى النحوى، حوالى خمسة عشر علما. ومن الكتب يذكر فادن وطيماوس ومن أسماء الشعوب يذكر اليونان ثم رومى[٢]. فالرسالة بهذا المعنى جمع بين أفلاطون وأرسطو ربما لصالح أفلاطون نظرا لذكر محاورتين له، وفيثاغورث مؤسس المدرسة الأفلاطونية. ويتضح من العنوان أيضاً نفس الشىء الرغبة فى الجميع بين الأمد

() يحيى بن عدى: مقالات فلسفية، دراسة وتحقيق سحبان خليفات، عمان ١٩٨٨ ص ٢٩٩-٣٠٢. فيثاغورس (٢)، أبو الجيش النحوى (٢).

(٢) أبو الحسن محمد بن يوسف العامرى: الأمد على الأبد، تصحيح ومقدمة أورث ك. روسن E.F. Rowson دار الكندى بيروت، ١٩٧٩.

والأبد أى بين أرسطو الذى يمثل الزمان وأفلاطون الذى يمثل الأبدية أو الخلود. وهى أيضاً رسالة فى فلسفة التاريخ التى تبزغ من تمثل الوافد مع تنظير الموروث جمعا بين الفلسفة والكلام، تحاول الجمع بين التاريخ والبنية، فالتاريخ هو الأمد، والبنية هو الأبد. بل أنها أقرب إلى البنية منها إلى التاريخ إذ لا يتجاوز التاريخ ثلاثة فصول من عشرين فصلا. كما يبدأ التنظير المباشر للواقع فى الظهور، ويتضخم على حساب الاقلال من الوافد فى الاتساع ومن الموروث فى العمق. وتقسم عناوين العامرى بهذا الايقاع الثنائى الذى يدل على بداية الابداع وأولويته على العرض والتأليف[1] مثل: الآبار والأشجار، الافصاح والايضاح، العناية والدراسة. ويحيل العامرى إلى باقى أعماله تأكيدا على وحدة المذهب، الابصار والمبصر[2]. وأحيانا يكون حرف العطف "و" حرف جر "عن" مثل الأبحاث عن الأحداث. وأحيانا يتكون الجزء الثانى من إيقاعين جزئيين مثل: الإبانة عن علل الديانة، "الاعلام بمناقب الاسلام، الارشاد لتصحيح الاعتقاد، الاتمام لفضائل الأنام، التقدير لأرجح التقدير، التبصير لأوجه التعبير. وأحيانا يتكون الجزء الأول والثانى من إيقاعين مثل: النسك العقلى والتصوف الملى، إنقاذ البشر من الجبر والقدر، الفصول البرهانية للماحث النفسانية، فصول التأدب وفضول التحبب، تحصيل السلامة من الحصر والأسر. وتتميز عناوين برجسون أيضا بهذا الايقاع الثنائى مثل: المادة والذاكرة، الفكر والمحرك، الطاقة الروحية، منبعا الأخلاق والدين، المعطيات البديهية للوجدان، الديمومة والمعية.

وحكماء اليونان خمسة: أبنادفليس تلميذ لقمان ولكنه لم يأخذ المعاد. قال بالمحبة والغلبة. وله مذهب فى صفات البارى وكأنه متكلم أو فيلسوف. واختلط عليه أمر المعاد. وفيثاغورس حكيم أخذ من لقمان، وأتى إلى مصر فأخذ الحكمة من أصحاب سليمان. وتعلم الهندسة ونقلها مخلوطة بالطبائع والدين إلى اليونان، وادعى أنه استفادها من النبوة. ويتفق العامرى مع فيثاغورس باستثناء أن الحكمة قبل الحق. كما خالفه فى شأن المعاد. وأضاف العالم أربعة عشر قسما، أربعة أرضية (العناصر) وثمانية علوية. وأخذ سقراط

---

(١) ذو القرنين (٢)، الاسكندر (٤)، فيثاغورس، أفلاطون، أرسطو (٦)، سقراط (٤)، أرشميدس، ديوجانس، ديموقراطيس الطبيعى، أوميرس، جالينوس، إقليدس، بقراط الطبيب، برقليس الدهرى، يحيى النحوى (١)، فادن، طيماوس (١)، يونان (٣)، رومى (١).

(٢) يحيل إلى "العناية والدراية" عرضا لمذهب أرسطو، وإلى "التوحيد والمعاد" لتوضيح طرق مذهب أرسطو، وإلى "الارشاد لتصحيح الاعتقاد" استقصاء دعوى المجوس والثنوية واليهود والنصارى، وإلى "الافصاح والايضاح" لشرح آية﴿ تعرج الملائكة والروح إليه فى كل يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ الأمد ص ١٥٢/٦٩/٨٦.

الحكمة من فيثاغورس. وهو زاهد خالف اليونان وحاججهم وقتل. وزاد على فيثاغورس أن كل إنسان شريف بالحكمة. كما يتفق العامرى مع سقراط إلا فى موضوعين، أن الله حكيم أى أن الله حق، وأن السماء تصير بالكواكب فى النشأة الثانية. وأخذ أفلاطون الحكمة من فيثاغورس. جمع بين الالهيات والطبيعيات والرياضيات. العالم أبدى مثل برقلس الدهرى الذى ألف فى أزلية العالم ونقضه يحيى النحوى. وسبب اشتغاله بالهندسة ظهور وباء على الأرض. فتضرع الناس إلى الله وسألوا أحد أنبياء بنى إسرائيل. فأوحى له الله بناء مذبح على شكل مكعب فزاد الوباء لأنهم لم يضعفوه. فقرر أفلاطون دراسة الهندسة. والمشهور عنه أن معرفة الشيء مشروطة بمعرفة الله. وأرسطو معلم الاسكندر الذى حارب الشرك دفاعا عن التوحيد، وهو تلميذ أفلاطون. فحسن قوله ورفع التناقضات فيها. فقد قال أفلاطون فى "النواميس" أن للعالم مدبرا. وقال فى "فيدون" أن النفس لا تموت، وفى "طيماوش" أنها تموت. أوضح حقيقة الصواب فى الصلة بين الحكمة والحق، بين فيثاغورس وسقراط، أيهما أصل وأيهما فرع؟ له منطق وطبيعيات وإلهيات، ولكن كتبهم محشورة بالرموز والألغاز حماية للناس منها وإبعاد الكسالى عنها وتشحيذاً للطبع. والمشهور عن أرسطو أنه قال أنه كان قبل اليوم يشرب ويظمأ فلما عرف الله عز وجل روى بلا شرب. هؤلاء الخمسة لا يحترمون من لا يقر بالصانع، ولا يوقن بالثواب، ويعتبرونه ملحدا. عيبهم خلافهم مع الملة الاسلامية، ولا يعترفون بالبعث والنشور ولا يؤمنون إلا بخلود الأرواح. لذلك حكم الاسلام عليهم بالبغى والضلال. ولكنهم آمنوا وبرهنوا على إثبات الصانع ووحدانية، ونفى الند والضد عنه. والطب والهندسة والتنجيم والموسيقى لعمارة البلاد، ترجمتها الألسنة. والبعض أصحاب صنعة وليسوا حكماء مثل: أبقراط الطبيب، هوميروس الشاعر، أرشميدس المهندس، ديوجانس الكلبى، ديموقريطس الطبيعى. وليس كل من قرأ إقليدس يصبح حكيما. أما جالينوس فطبيب وحكيم، ولكنه يشك فى حدوث العالم والمعاد وخلود النفس. أما أوساخ الزنادقة فيصطادون ضعاف العقول، ويوهمونهم بأنه لو كان الله موجودا لعرفتهم هذه العقول. ويتهم الجدليون بالتعطيل والالحاد. النية صادقة ولكن اتهامهم بالتعطيل قد يؤدى إلى تزيين الالحاد وتفخيم الزندقة، مما يقوى حيل البرية على الضعاف من البرية[1]. وهذا كله "أسلمة" لليونان، ورؤية الآخر من منظور الأنا، وحكماء اليونان ما هم إلا تلاميذ أنبياء بنى إسرائيل، مما يجعل العامرى تقليدى الاتجاه. فالعقيدة أساس الحكمة.

---

(١) الأمد ص ٧٦ - ٧٧.

ومن الموروث تتصدر آيات القرآن والأحاديث ثم الأنبياء، آدم ثم موسى ثم سليمان ثم المسيح ولقمان ثم الرسول وعيسى وإدريس (هرمس) ونوح وداود، والعذراء البتول وابراهيم وهود وأخنوخ. ومن تاريخ الأنبياء عاد وآدم وثمود[1]. فآدم يأتى أولاً وهو الأصل الذى اجتمعت فيه البشرية والنبوية. فلا بشرية دون نبوة، ولا نبوة دون بشرية. وموسى هو النبى والقائد. وسليمان هو الحكيم. ولقمان أول الحكماء. أخذ من الباطنية. ويؤسس العامرى فلسفة للتاريخ ابتداء من قصص الأنبياء. وهم فى الغالب أنبياء بنى إسرائيل. ولا يذكر من الحكماء إلا الكندى والرازى الطيب والبلخى وأبا معشر المنجم[2]. وينقد وصف الرازى بأنه حكيم مع أنه صاحب صنعة الطب. يقول بالقدماء الخمسة. وكان أحمد بن سهل البلخى يرفض تسمية حكيم من يخرج على العقائد، وهو الموقف السلفى الذى يتعاطف معه العامرى. ولا يذكر الفارابى وهو الاشراقى. ومن الفرق يذكر المعتزلة وأصحاب الرأى، وأصحاب الحديث، والشيعة والخوارج[3]. ويقول أهل الاسلام باليعث والنشور والجنة إلا المعتزلة التى ترى أن النفوس الناطقة لا وجود لها بالحقيقة، والفلاسفة يهولون بها على العامة وأنه ليس للانسان إلا ما يشاهده، وأن الحياة عرض، والموت ضدها، وأن البدن بعد انحلاله لا حياة فيه ولا موت. والله يجمع البدن فى النشأة الأخرى، ويخلق فيه الحياة، جنة أو نارا. وهو رأى جمهور الاسلام أصحاب الرأى والحديث، والشيعة والخوارج. الأرواح البشرية يتوفاها ملك الموت، تفارق الجسد، وتحاسب ثوابا أو عقابا.

ويظهر تاريخ الأمم السابقة، اليهود والنصارى[4]، أنبياء التوراة وشخصياتها وغزو نبختنصر البابلى[5]. كما تذكر أسماء البقاع المحلية مثل الشام ومصر ثم بيت المقدس ثم القلزم وفلسطين[6]. وتظهر الثقافة الفارسية الشرقية أيضاً مثل فارس ثم يزدجربن شهريار ثم دارا وكيومرت وهرمزروز ومزوردين وزرادشت والمجوس[7]. بل

---

(١) القرآن (١٦)، الحديث (٢) الأنبياء: آدم (٨)، موسى (٦) سليمان (٤)، المسيح، لقمان (٢)، عيسى، أدريس، نوح، داود، العذراء البتول، إبراهيم، اخنوخ، هود، عاد، ثمود، آدم (١).

(٢) الرازى الطبيب، البلخى، الكندى، أبو معشر المنجم (١).

(٣) المعتزلة، أصحاب الرأى، أصحاب الحديث، الشيعة، الخوارج (١).

(٤) اليهود (٤)، السامرة، النصارى (١).

(٥) نبختنصر (٥)، متوشالح (٢)، لا مخ (١).

(٦) الشام، مصر (٣)، بيت المقدس (٢)، القلزم، فلسطين (١).

(٧) فارس (٣)، يزدجر بن شهريار (٢)، دارا، كيومرث، هرمزروز، مزوردين، زرادشت، المجوس (١).

تذكر الهند. فالغالب على الدهماء فيها أن الأجساد متى حرقت بالنيران تخلصت الأرواح من المذلة والهوانية. وتبدأ الرسالة كما تنتهي بالحمدلات والبسملات[1].

٣- **مسكويه.** وفي **"اللذات والآلام"** لمسكويه (٤٢١هـ) يتساوى تقريبا الوافد والموروث. من الوافد يذكر الحكماء والطبيعيون دون تحديد لاسم بعينه. فالتأليف يمكن دون أرسطو. ومن الموروث فليسوف الاسلام على بن أبي طالب مما يدل على تشييع مسكويه، وآية قرآنية واحدة، وعمار بن ياسر يخاطب عليا[2]. وهو موضوع أخلاقي مثل موضوعات الرازي دون إحالة إلى الفارابي، وهو فيلسوف الانسان. وليس سؤالا فقهيا كما هو الحال في "النفس والعقل" بل تأليف مباشر. عند الحكماء الطبيعة عالم الآلام لأنه عالم الحركة في حين أن عالم العقل هو عالم اللذات لأنه عالم السكون. فالحركات آلام، والسكنات لذات. كما قالت الحكماء أن لذة الخالق بذاته وفرحه وسروره بها لا تقارنها لذة أخرى أو فرح آخر. ولذة الفضلاء هي الثواب الموعود والمقام المحمود في دار الخلود التي دعا إليها الأنبياء وأثبتها الحكماء. وعند الطبيعيين اللذة رجوع إلى الحالة الطبيعية، ولا تصح في الأمور النفسية أو الالهية[3].

ومن الموروث يستشهد مسكويه بقولين لفيلسوف الاسلام على بن أبي طالب: الأول أن اللذات خادعة لأنها ليست طريقا إلى الله وفي الأمور الطبيعية خدعة للحيوان مثل السفسطة والدواء المر المحلى للصبيان. فتزين المرأة أحسن شيء فيها وهو وجهها وتريد أقبح شيء فيها وهو فرجها. والثاني أن لذات الدنيا خمس: مأكول وأفضله العسل وهو في ذبابة، ومشروب وأفضله الماء وهو أهون موجود، وملبوس وأفضله الديباج وهو لعاب دود، ومشموم وأفضله المسك وهو دم فارة، ومنكوح وأفضله مبال في مبال. أما المبصرات والمسموعات فهي من ملذات الآخرة، تعرف في الدنيا تشوقا لها في الآخرة. ولكن ألم تصور الجنة أيضا على أنها لذات حسية من المأكول والمشروب والملبوس والمنكوح والمشموم؟ أليس المسموع والمرئي من محرمات الدنيا والموسيقى والرقص؟ وماذا عن من لا يذوق العسل ولا يحبه؟ ولماذا الماء أهون موجود وهو ينحت الجبال ويولد الطاقة؟ ولماذا احتقار الدنيا إلى هذا الحد؟ وهل يمكن أن يقال ذلك للفقراء؟ ومن الموروث تذكر آية قرآنية واحدة عن لذة المعرفة الالهية في مقعد صدق عند مليك مقتدر

---

(١) الأمد ص ١٥٢-١٥٣/٧/٧٧-٥٥/٥٨.

(٢) الحكماء (٣)، الطبيعيون (١).

(٣) اللذات ص ١-١٠٤.

بالذوق المباشر بالتخلى عن العلائق، والانقطاع عن الدنيا، والتوجه نحو الكمال والغاية. وتبدأ الرسالة بالبسملة وتنتهى بالحمدلة والصلاة والسلام على محمد النبى وآله.

وآليات الابداع فى "اللذات والآلام" بسيطة[1]. تقوم على القدرة على رؤية الأمور بعين الوحدة، والذهاب إلى ما وراء الألفاظ بعد عرض الآراء المختلفة كما فعل الفارابى فى "الجمع بين رأيى الحكمين"، وفى نفس الوقت القدرة على تصور الحياة، ارتقاء، ونشأة، وتطورا واكتمالا، بداية بعالم الكون والفساد والحركة، وتوسطا بعالم الشهوة والنزاع والمحبة والعشق ووصولا إلى عالم اللذة والكمال، اثنان فأربعة فاثنان. عالم الطبيعة هو عالم كمال الآلام، وعالم العقل هو عالم اللذات. والموجود بالنسبة للمعشوق ثلاث مراتب: مالا يُعطى وهو الجماد والنبات والحيوان، وما يُعطى بالقوة وهو الانسان، وما يُعطى بالفعل وهو الملاك. والرسالة كلها خطاب فى البيان[2].

٤- **ابن سينا.** أ- وفى رسالة "**إثبات النبوات وتأويل رموزهم وأمثالهم**" لابن سينا (٤٢٨ هـ) يذكر أرسطو ثم أفلاطون ثم فيثاغورس وسقراط والاسكندر. فقد عدّل أفلاطون أرسطو لاذاعته الحكمة وإظهاره العلم حتى قال: اعترف أرسطو أنه بالرغم من أعماله العديدة إلا أنه ترك فيها مهاوى كثيرة لا يقف عليها إلا الخاصة من العلماء والعقلاء، وهو ما قاله الفارابى من قبل فى الجمع بين رأيى الحكيمين. ولا تهم الحقيقة التاريخية. فأفلاطون سابق على أرسطو وبالتالى يستحيل تعديله وتوبيخه لاذاعته الحكمة. بل تهم الدلالة وهى أن الحكمة لا يقدر عليها إلا الخاصة دون العامة كما صرح الغزالى من قبل فى "المضنون به على غير أهله" و "إلجام العوام عن علم الكلام". بل هو إجماع العلوم الاسلامية كلها، الكلام والفلسفة والتصوف والأصول. هى علوم للخاصة وليست للعامة، علوم التنزيه فى الكلام والتأويل فى الفلسفة، والذوق فى التصوف، والاستدلال فى الأصول. ويذكر أفلاطون وفيثاغورس وسقراط وفلاسفة يونان فى هذا السياق. فقد قال أفلاطون فى كتاب "النواميس" بضرورة تأويل رموز الرسل حتى ينال الملكوت الالهى. وقد استعمل فلاسفة يونان وأنبياؤهم المراميز والاشارات. وهنا يوسع ابن سينا مفهوم الفلسفة ليشمل النبوة، ويضم الأنبياء إلى فلاسفة يونان، قراءة للنفس فى الآخر، وإكمالاً للآخر بالنفس. ويميز ابن سينا بين كتاب "النواميس" الرمزى الاشارى الصوفى النبوى

---

(١) تذكر آليات الابداع إذا كانت واضحة بعد تحليل الوافد والموروث طبقا للموقف الحضارى، الوافد هو الآخر، والموروث هو الأنا، وآليات الابداع التنظير المباشر للواقع.

(٢) اللذات ص ٩٨-٩٩.

وكتاب "السياسة" أى "الجمهورية" لأفلاطون[1]. الأول للخاصة والثانى للعامة. الأول أقرب إلى الموروث فيتم تعشيق الاثنين فيه، والثانى أقرب إلى الوافد. ويظهر المصطلح الفلسفى الجديد مثل المراميز جمعا لرمز. واعتبر فلاسفة اليونان وحكماؤهم مثل فيثاغورث وسقراط وأفلاطون أقرب إلى الأنبياء والرسل لما فى أقاويلهم من رموز واشارات. كما يستشهد بأرسطو لشرح اسم النور الذاتى وليس المستعار أى أرسطو العالم الطبيعى، والمستعار من اللغة العربية. ويدافع عن أرسطو ضد سوء تأويل الاسكندر الأفروديسى بجعل العقل الكلى الاله الحق الأول. كما يستشهد بأرسطو فى آخر كتاب "سمع الكيان"، أن نهاية الموجودات الجسمانية الفلك التاسع، فلك الأفلاك، وأن الله هناك وعليه لا على حلول. ففى موضوع موروث مثل الالوهية والنبوة يظهر اليونان. إذ أنهم يمثلون ثقافة العصر واستعمالها من أجل موضوع موروث كما تستعمل الآن ثقافة العصر فى العلوم السياسية من أجل علم الكلام السياسى والشريعة والقانون والاجتماع والعلوم الانسانية بوجه عام[2].

ومن الموروث يتصدر القرآن والحديث القدسى ثم اسم محمد والنبى[3]. ولا يظهر متكلم أو فيلسوف أو صوفى أو أصولى أو فقيه أو مفسر أو محدث. يتعامل ابن سينا مع الأصول الأولى وحدها لتنظيرها وكأنها موضوعات، وكأن علوم الحكمة أصبحت بديلا عن علوم التفسير. الآية الأولى هى آية المشكاة ﴿ الله نور السموات والأرض﴾ يستعملها الصوفية، ويفسرها الغزالى. ويمكن من خلالها عرض نظرية المعرفة الاشراقية، شرح كلمة كلمة وعبارة عبارة[4].

والآية الثانية ﴿ يحمل عرش ربك يومئذ ثمانية﴾. وتتضمن صورا فنية لموضوع غيبى قريب الشبه بموضوع الاستواء فى علم الكلام. فالعرش نهاية الموجودات المبدعة الجسمانية وليس كما يقول أنصار التشبيه من المتشرعين أى الفقهاء من حلول الله فيه وجلوسه عليه. نهاية الموجودات الجسمانية الفلك التاسع، فلك الأفلاك. ومن ثم فلا حلول كما بين أرسطو. وهنا يستعمل أرسطو دفاعا عن التنزيه. أما الحكماء الفقهاء فقد أجمعوا

---

(١) رسالة النبوات وتأويل رموزهم وأمثالهم، تسع رسائل ص ١٢٠-١٣٢ أرسطو (٥)، أفلاطون (٣)، فيثاغورس، سقراط، الاسكندر (١).

(٢) السابق ص ١٢٤-١٢٥ / ١٢٨.

(٣) القرآن (٣)، الحديث القدسى (٢)، محمد (٥)، النبى (١).

(٤) هذا ما فعله أيضا ممثل الوضعية المنطقية فى العالم العربى، زكى نجيب محمود فى "المعقول واللا معقول" فى تراثنا الفكرى، دار الشروق، القاهرة.

على أن العرش هو هذا الجرم، وأن الفلك يتحرك بالنفس حركة شوقية لأنه الحركات إما ذاتية وإما غير ذاتية، والذاتية إما طبيعية وإما نفسية. فنفسه ناطق كامل فعال. والأفلاك لا تفنى ولا تتغير كما ذاع فى الشرع أن الملائكة أحياء، فهى مثل الأفلاك. ومن ثم صح أن العرش محمول على الأفلاك الثمانية. والحمل نوعان، بشرى من حامل ومحمول، وطبيعى كحمل الماء على الأرض والنار على الهواء، وهو المقصود بحمل العرش دون التماس. وتحديد الحمل بالساعة والقيامة لأن من مات قامت قيامته. ولما كانت النفس الانسانية مفارقة ارتبطت بوقت المفارقة، الوعد والوعيد. يحول ابن سينا الكلام إلى الفلسفة، والشرعيات إلى كونيات، ويفسر الاستواء على العرش بالأفلاك. ويعتمد على النقل والعقل مفسراً الشرع بالشرع، والنص بالنص، والكتاب بالسنة. وفى نفس الوقت يثبت المعاد، الوعد والوعيد والثواب والعقاب. يؤكد على الزمان فى "يومئذ"، ويهرب من المكان فى "فوقهم". لم يتخل ابن سينا عن التصور المكانى كلية. فالعرض نهاية الموجودات المبدعة الجسمانية. فهل هو أول الخلق أم آخره؟ مخلوق أم غير مخلوق؟ وأين كان الله يستوى قبل الخلق؟ وإذ كان العرش قديما فهل يوجد قديمان؟ وهى مسائل نظرية لا حل لها إلا فى التأويل المجازى كما قال المعتزلة أو فى الصورة الفنية والتخييل كما قال الحكماء دون الوقوع فى تأسيس علم كلام فلسفى جديد بالرغم من السخرية من علم الكلام القديم عند المتشبهة والمتشرعة[1].

ويفسر ابن سينا الآية الثالثة ﴿ عليها تسعة عشر﴾ بأن الجحيم هى النفس الحيوانية، باقية دائمة فى جهنم. وهى قسمان: إدراكية وعملية. والعملية قسمان: شوقية وغضبية، وهى تصورات الخيال، المحسوسات بالحواس الظاهرة الستة عشرة، والقوة الوهمية حاكمة على تلك الصور حكما غير واجب، واحدة ذاتيا فيكون المجموع تسعة عشر. يحاول ابن سينا إيجاد التجارب الانسانية المقابلة للأعداد سواء الثمانية السابقة أو التسعة عشرة الحالية. تصف الآية واقعا إنسانيا كما هو الحال فى تحقيق المناط عند الأصوليين. يلجأ ابن سينا إلى هذه الموضوعات الغيبية التى تسمح بالتأويل الفلسفى كما تفعل الصوفية. الجحيم هو الجهل، والنعيم هو العلم. وهو تأويل يفيد مجتمعات الجهل التى تريد أن تتحول إلى مجتمعات العلم. أما الملائكة فهى القوة اللطيفة غير المحسوسة، صورة فنية للتعبير والتأثير. ويبدأ ابن سينا الآية بأنها ما بلغ النبى محمدا عن ربه. ثم يؤولها تأويلا إنسانيا. فالالهى إنسانى على مستوى التبليغ والفهم كما يقول المعاصرون. لذلك

---

(١) السابق ص ١٢٥ / ١٢٨-١٢٩.

يذكر اسم النبى محمد ويصلى ويسلم عليه فى التبليغ وصحة دعوته للعاقل وفى ايصال رسالته إلى العرب الأجلاف[1].

والحديث القدسى الأول "ان للنار سبعة أبواب وللجنة ثمانية أبواب" تبليغ من الله إلى النبى. فالأشياء المدركة إما مدركة للجزئيات، الحواس الخمس الظاهرة ثم إدراك الصور مع المواد أو بدون المواد فى خزانة الحواس، وهو الخيال، وقوة حاكمة عليها حكما غير واجب وهو الوهم، وقوة حاكمة عليها حكما واجبا هو العقل. فهذه ثمانية إذا اجتمعت أدت إلى السعادة السرمدية والدخول فى الجنة، وإن نقصت إحداها أدت إلى الشقاوة السرمدية والدخول فى النار. وفى اللغة المؤدى إلى الشئ يسمى بابا. لذلك سميت أبوابا، السبعة المؤدية إلى النار والثامنة المؤدية إلى الجنة، وإذا كان العدد الرمزى سبعة فلماذا زيد واحد فى الجنة؟ ولماذا أخذ ابن سينا ثلاث حواس باطنية فقط ولم يأخذ الخمسة كلها مثل التذكر والحس المشترك؟ وهو أيضاً موضوع غيبى يمارس فيه ابن سينا منهجه فى التأويل بتحويله إلى دلالات إنسانية قياسا للغائب على الشاهد. لقد استطاع ابن سينا تحويل النصوص إلى تجارب إنسانية ومعانى عقلية على أوسع نطاق من العمومية والشمول، ولكن ظل التأويل مرتبطا بثقافة العصر، علم الفلك القديم، وعلم النفس، وطرق المعرفة القديمة. فإذا ما تغيرت ثقافة العصر تغير التأويل. وهل يمكن تجاوز تشخيص الطبيعة إلى الانسانيات مباشرة وإعطاء تأويل إنسانى عام لكل العصور أم أن التأويل بطبيعته فهم للنصوص فى ثقافة كل عصر؟

ويؤول ابن سينا الحديث القدسى الثانى "ان على النار صراطا صفته أنه أحد من السيف وأدق من الشعر، ولن يدخل أحد الجنة حتى يجوز عليه. فمن جاز عليه نجا، ومن سقط عنه خسر" كمناسبة لتحويل الغيبيات إلى مشاهدات، والوحى إلى تجارب إنسانية[2]. وهى صورة فنية للعقاب ودون فهم العقاب أولا. وبدون التجربة الانسانية لا يمكن فهم الصورة الفنية المتضمنة فى النص. الصورة الفنية وسيط بين الوعى والنص. بها من الوعى الشعور أو الخيال وبها من النص الحروف والكلمات. الثواب هو البقاء فى العناية الالهية الأولى ولا يحصل إلا بعد الكمال العلمى والعملى، وذلك عن طريق مجاهدة النفس الحيوانية فى أفعالها العملية وادراكاتها العلمية. ويكون الهلاك بمطابقة الوهم للقوى الحيوانية فى غيبة الحواس. وتكون النجاة بمطابقة العقل للصور العقلية الشريفة. ويمكن

---

(١) السابق ص ٢٤-١٢٥ / ١٣١-١٣٢.

(٢) ويمكن دراسة "التأويل الفلسفى" عن ابن سينا موضوعا لرسالة جامعية.

على هذا الأساس فهم الجنة والنار. فالعوالم ثلاث: عالم حسى، وعالم خيالى ووهمى، وعالم عقلى. العالم العقلى وهو المقام فى الجنة. والعالم الخيالى الوهمى هو الحطب. والعالم الحسى هو القبور. ولما كان العقل فى حاجة إلى استقراء الكليات من الجزئيات فإنه يحتاج إلى الحس الظاهر الذى يقدم المحسوسات إلى الخيال والوهم. وهذا هو طريق جهنم، الصراط الدقيق. فإذا توقف الانسان ولم يتجاوز الوهم والخيال إلى العقل وقف على الجحيم وسكن فى جهنم. يحول ابن سينا الأخرويات من مستوى الكونيات إلى مستوى المعرفة. فالصراط ليس شعرة حسية بل طريقا للمعرفة يؤدى إلى الوهم أى إلى النار أو إلى العقل أى إلى الجنة. التأويل إذن هو إرجاع الخارج إلى الداخل، والموضوع إلى التراث، والشىء إلى المعنى، والواقع إلى الفكر[1]. لقد توجهت علوم الحكمة إلى السمعيات كى تحيلها إلى عقليات متجاوزة علم الكلام، محولة الصور الفنية إلى علوم نظرية وسلوك عملى ومتجاوزة المصادفة والسير على الصراط عندما تتكافؤ الأدلة وكأن المؤمن بهلوان تساعده الملائكة كى يقع فى الجنة أو تدفعه الشياطين كى يقع فى النار. وقد اختار ابن سينا الآيات القرآنية والأحاديث القدسية من نفس النوع الغيبى الأخروى الذى يسمح له بالتأويل الإشراقى، وليس الآيات والأحاديث العملية التى تنفع الناس فى الدنيا، وكما نحتاج هذه الأيام فى مجتمعات الضلال والتخلف. حول ابن سينا الأخرويات إلى إنسانيات، الثواب والعقاب، السعادة والشقاء.

ب- وفى "سر القدر" ذكر الحكيم تحولا من الشخص إلى الرمز وأفلاطون فى المقدمة الثالثة، إثبات المعاد للنفوس وليس فى المقدمتين الأوليين، نظام العالم وحديث الثواب والعقاب. ينكر الحكيم وجود الشر القصدى فى العالم على عكس الخير. فالشر إعدام وليس وجودا. وهى نظرة متفائلة تشبه نظرة الاسلام على عكس أفلاطون الذى يرى أن الشر والخير مقصودان استشهادا بالآية القرآنية ﴿ يا أيتها النفس المطمئنة، إرجعى إلى ربك راضية مرضية﴾ كمقدمة نقلية. فالموروث وعاء للوافد، والوافد مادة للموروث ومضمون لها. ولا يستشهد بالقرآن إلا فى المقدمة الثالثة بعد الأولى فى نظام العالم والثانية حديث الثواب والعقاب، إثبات المعاد للنفوس. فالمعاد دعوة للنفس المطمئنة. ويعود ابن سينا إلى المسألة الصوفية التى سئل عنها "من عرف سر القدر فقد ألحد" إلى الأصل فى الحديث "القدر سر الله، ولا تظهروا سر الله" بصرف النظر عن صحة السند أو المتن مع أن صيغة "ما روى" وليس حديث الرسول أو قال الرسول تشكك فيه.

---

(١) النبوات ص ١٣٢.

والأقوال الثلاثة المنسوبة إلى على تحتمل الشك أيضا إذ أنها تدور حول نفس المعنى بصياغات أدبية متعددة مما قد يكشف عن الإبداع الذاتى، الفكرة التى تخلق صورها. وقد يدل استشهاده بعلى ثلاث مرات على تشيعه. كما يستشهد بحديث أو قول مأثور "اعملوا، فكل ميسر لما خلق الله". وتظهر بعض التعبيرات القرآنية تعبر عن المخزون الأدبى لابن سينا. كما تظهر العبارات القرآنية وأساليبه فى الخطاب مثل الشراب الطهور، وضرب الأمثال، ولا يسأل عما يفعل، وكل شىء هالك إلا وجهه[1].

ثانيا ــ ابن باجه.

١- **الرسائل.** ويقع كثير من رسائل ابن باجه فى هذا النوع، التعادل بين تمثل الوافد وتنظير الموروث، مثل:

أ- **"ومن كلامه ما بعث به لأبى جعفر بن يوسف بن حسداى"**[2]. فقد ذكر من الوافد بطليموس ثم أرسطو والاسكندر ثم ثامسطيوس. ومن الكتب يحال إلى السماع الطبيعى والكون والفساد. ومن أسماء الفرق يذكر المفسرين[3]. ويرد ابن باجه على من زعم أن ما أتى به أرسطو فى الحركة والمحرك ليس برهانا. كما يضع ابن باجه نسقا لأرسطو كله فى موضوع واحد غير مؤلفات أرسطو كما فعل فى حد الأضداد الفاعلة والمنفعلة. وتبدو أهمية السابعة والثامنة فى السماع أن بها نظرية الحركة والمحرك خاصة المحرك الأول الذى لم يرد أرسطو بيانه باطلاق كما توهم المفسرون بل المحرك الأول بالاضافة إلى حركة مفروضة. يستشهد ابن باجه بأرسطو بعد الدراسة وليس قبلها تدعيما لموقفه وليس نقلا عنه. لم يكن غرض أرسطو ذكر المحرك باطلاق أى أن غرضه لم يكن الالهيات بل الطبيعيات. وأكمله المسلمون كعلم مستقل لدرجة اعتبرها المفسرون خارج العلم. وهو ما صرح به ابن باجه فى المقالتين السابعة والثامنة ونقد ثامسطيوس وجالينوس فى خلطهما معنى المحرك عند أرسطو. وهو نفس موقف ابن رشد فيما بعد مع اختلاف التفاصيل[4]. وقد دافع الاسكندر عن أرسطو وزعم الناس أنه فى الحركة والمحرك لم يأت ببرهان لأن البرهان منطقى أى أن تكون أجزاء القياس أى

---

(١) سر القدر، جامع ص ٢٤٥-٢٤٩.

(٢) رسائل جـ١ ص ٧١-٨١.

(٣) بطليموس (٣)، أرسطو، الإسكندر (٢)، ثامسطيوس (١)، السماع الطبيعى، الكون الفساد (١)، المفسرون (١).

(٤) رسائل جـ١ ص ٨٠ هامش (١٩).

الحدود الوسطى بالعرض. وينقد ابن باجه الاسكندر، ويجعل الحد الأوسط ذاتيا. ويحيل إلى "السماع الطبيعى" بعد أن تحول الكتاب إلى موضوع مستقل عن صاحبه وبعد أن تحول إلى علم دون كتاب، والعلم مشاع بين الجميع. ويحيل إليه مسألتين رئيسيتين تؤخذ منهما المسائل الأخرى حد الأضداد الفاعلة والمنفعلة وحد أرسطو لها حدوداً متأخرة فى الكون والفساد كما يحلل ابن رشد الموضوعات بالاحالة إلى كل طبيعيات أرسطو. ويشير ابن باجه إلى الموروث الناقد للوافد مثل الشكوك على بطليموس لابن الهيثم استئنافا للتراكم الفلسفى.

ويظهر الموروث فى اسم الرسالة، حسداى. فاليهود جزء من الأمة[1]. وتدل المراسلة مع ابن حسداى على التعايش السلمى بين المسلمين واليهود فى الأندلس، والصداقة بين الفيلسوفيين فى مجتمع دينى يقوم على الوحى بلا تمييز بين مراحله، بل ويقدر تراث المجتمع الوثنى الدينى السابق، وهو فى حد ذاته موقف إبداعى. ويتصدر الزرقالة ثم ابن حسداى وابن الهيثم وأبو نصر. ويحال إلى كتاب الشكوك على بطليموس لابن الهيثم، وإلى مكان تأليف الرسالة، أشبيلية[2]. والزرقالة بطليطلة معروف بولد الزرقيان أو ولد الزرقيال فى الأرصاد والكواكب والأفلاك والآلات النجومية. وله صحيفة الزرقيال التى لم يفهمها المشرق. وينقد ابن باجه نقد الزرقالى وابن الهيثم لبطليموس. والموضوع علمى يضع فيه ابن باجه تجاربه الشخصية. وهو على وعى بمنظوره. وينقسم إلى موضوعات متقطعة انعكست على طريقة التأليف فى فقرات متقطعة[3]. ويصرح ابن باجه بأنه تعلم عن الفارابى المنطقى ضروب البرهان. وقد تعلم منه ذلك متأخرا بعد الرياضيات والفلك والموسيقى. وينقد ابن باجه الزرقالة ابراهيم بن يحيى الأندلسى بأنه لم يكن من أهل صناعة الهيئة. بل كان يقول فيها بحسب سوانحه ولوائحه. فتضطرب أقواله، ويكثر الكلام فيما لا معنى له. لذلك ناقض بطليموس. فالزرقالة نموذج البعيد عن الصناعة بالرغم من كتابته مقالا يبطل فيها طريق بطليموس فى استخراج البعد الأبعد لعطارد. فهو نموذج الهاوى فى العلم لا المتخصص. ينقد ابن

---

(١) ابن حسداى طبيب سافر من الاندلس إلى مصر، وارتبط بالمأمون الذى أمره بشرح كتب أبو قراط. وكان قد بدأ بشرح كتاب الايمان لابقراط. له أيضا بعض شروح كتاب الفصول. وله مع ابن باجه مراسلات.

(٢) الزرقالة (٤)، ابن حسداى، ابن الهيثم، أبو نصر (١)، الشكوك على بطليموس لابن الهيثم (١).

(٣) وذلك مثل: "أما الزرقالة ..." "وهذا رأى وقع فيه من تقدمه" ثم فقرة فى التجارب الشخصية "وهذه صناعة شغلت بها نفسى"، ثم فقرة فى الموضوع، والمقالة التى قال الزرقالة ثم عود إلى التجربة الشخصية" وأما صناعة الموسيقى فانى زاولتها"، ثم عود إلى الموضوع فى مسألتين.

باجه الموروث قدر تعامله مع الوافد. الزرقالة غير عميق فى الفلك، ذاتى غير موضوعى، ذو كلام مضطرب، كثير الكلام بلا دلالة، يذهب عليه بعض معانى العلم، ويناقض بطليموس. ويدافع ابن باجه عن بطليموس فى حين أن ابن رشد ينتصر لأرسطو وينتقد بطليموس فى مقالة اللام. يطهّر ابن رشد الأصل الوافد، ويطهر ابن باجه العلم الوافد. فالعلم ليس الإشراق ومع ذلك يوضح الإشراق العلم. العلم من الذات لامن الموضوع، من الداخل لا من الخارج. العلم تصوف العلم. يعيد ابن باجه تأويل العلم الطبيعى فى الأندلس تأويلاً صوفيا. فكيف يقال أن مشروع الغرب الإسلامى كان عقلانياً وفيه ابن باجه وابن عربى ومدرسة بن مسرة "وزهر" فى التصوف اليهودى. وخطأ الزرقالة هو خطأ ابن الهيثم بل ان ابن الهيثم أسوء من الزرقالة وأبعد عن صناعة الفلك. ينقد ابن باجه موقف ابن الهيثم من بطليموس. ابن الهيثم مثل الزرقالى فى نقده لبطليموس مع أن الهيثم أوضح والزرقالى مشوش. لم يقرأ ابن الهيثم الصناعة إلا من أسهل الطرق. بل إنه أبعد منها عن الزرقالة. ربما لأنه بصرى وليس فلكيا. ربما لم يكن لديه وقت أو نقله عن غيره وكأن ابن باجه يجد له الأعذار. المهم هو تحليل التراكم التاريخى الفلسفى والعلمى ووضع الوافد والموروث فى وعى تاريخى واحد. ولا يوجد هجوم مماثل على الداخل على الأشعرية والكلام والإشراق عند ابن سينا. وتظهر البيئة الجغرافية المحلية مثل أشبيلية مدينة تعلم صناعة الموسيقى.

ب- وفى **"من كلامه على إباتة فضل عبد الرحمن بن سيد المهندس"** يظهر من الوافد أبولونيوس مع كتابه فى المخروطات وأقليدس وليس أرسطو[1]. ويقارن ابن باجه بين توليد القطوع عن ابن سيد والمخروط عند أوقليدس فى آخر المقالة العاشرة من كتابه، بين الموروث العلمى والوافد العلمى. كما ينقد أبولونيوس لأن البرهان بين أن التماس لا يكون بإحدى الجهتين اللتين ذكرهما أبولونيوس. ويذكر ابن باجه محيلا إلى المقالة الأولى من "المخروطات" دون ذكر اسم مؤلفه أن كل سطح يلقى بسيط مخروط ولا يمر برأسه يقطعه وغير ذلك من المسائل الرياضية.

ومن الموروث يذكر ابن سيد ثم ابن الإمام وابن الصائغ وابن النضر مع ذكر مكان أشبيلية. ويحكم ابن باجه على الداخل مع احترام كامل للآخرين دون إزاحتهم كما يفعل المغاربة المعاصرون. وهو موضوع رياضى ينتمى إلى المرحلة الأولى. ويتضح ذلك من المرسل إليه، وهو من أهل بلنسة، عالم بالحساب والعدد والهندسة. ويستأنف ابن

---

(١) الرسائل. جـ١ ص ٨٤-٨٧.

باجه ما قام به ابن سيد المهندس من قبل بعد أن استأنف ابن سيد نفسه تراث المهندسين قبله، ولكنه كان أقرب إلى الاتصال معهم دون أن يطور الموضوع وينقله نوعيا ربما لعوائق عصره أو لعمله بمفرده مما يحتاج إلى تطوير وإكمال. ومع ذلك استطاع ابن سيد أن يختص بشيء جديد بالإضافة إلى تراث القدماء، وهنا يدخل ابن ماجة لاستئناف الجديد، فالتراكم التاريخي شرط الإبداع.

جـ- وفيما **كتب رضى الله عنه إلى الوزير أبى الحسن بن الإمام**" يبدو الوافد أولا فى إقليدس ثم ثامسطيوس وأرسطو والاسكندر وأبولونيوس وشاعر اليونان. ومن الكتب يحال إلى نيقوماخيا والبرهان وبارمينياس[1]. والموضوع بين الرياضيات والمنطق. وذكر ابن باجه السياق التاريخي له مما يدل على أنه يدرس موضوعا ولا يشرح قولا. وتبدو أهمية العلة الغائية. كما تظهر القيمة فى المنطق. ويبين ابن باجه كيف لخص أرسطو موضوع الروية والاستعداد، نشأتها وكمالها فى السادسة من نيقوماخيا بالرغم من صعوبة وجود صناعة محدودة للارتياض أو إيجاد أسماء للأفعال الرياضية والتجريب من أصنافها. ويرى ابن باجه أن وجود الفكرة البرهانية والروية فى كل إنسان لم تلحقه آفته وله قوة على قبولها. وهى بالاكتساب. ويستشهد بثامسطيوس أنها قد توجد لبعض الناس بالطبع فى القياس فى ذوى الفطر الفائقة. ويستشهد بتسمية الاسكندر القياس الصادق البرهان المنطقى وهو الذى يستلزم الحد الأوسط ويكون ما به قوامه وإلا كان القياس مجرد دليل ليس ما به قوامه. ويضرب المثل من إقليدس على أن الأقاويل الهندسية أمور بالعرض سهوا وتسامحا من المهندس مثل أن ضلع المسدس إذا اتصل بضلع المعشر انقسم الخط على نسبة ذات ونسبة طرفين. وهو قل ما يوجد فى كتب المهندس، إنما تسامح أوقليدس فى ذلك أو فات عليه لتلازم وجود ضلع المسدس ونصف القطر بالتكافؤ لزوم الموجود. فأوقليدس موضع نقد. قد يخطىء عن قصد أو عن غير قصد. ويبين ابن باجه حد الخطوط الصم. وهو الموضوع الذى يتعرض له أوقليدس فى المقالة العاشرة من كتابه. كما يبين القطاع الثلاثة كما فعل أبولونيوس فى أول كتابه عن المخروطات لأن الحدين لم يكونا واضحين. مهمة ابن باجه إذن توضيح الوافد العلمى. فهو الدارس والوافد المدروس. وهو على علم بمطالب الموروث وبمكانه فى الوافد على وجه الدقة وليس فقط بالاحالة إلى مقالات الكتاب.

---

(١) رسائل جـ١ ص ٨٨-٩٦. اوقليدس (٤)، ثامسطيوس، أرسطو، الاسكندر، أبولونيوس، شاعر اليونان (١)، نيقوماخيا، البرهان، بارمنياس (١).

ويبرز ابن باجه الطابع المحلى اليونانى للوافد فى ضرب الأمثلة على أن المهندس الذى ليست له القوة على صنعة براهينها واقتصر على حفظها يصبح مثل الكتاب المبسوط كما قال شاعر اليونان على طريق التشبيه. ويحيل الموضوع إلى كتاب البرهان وإلى كتاب بارامنياس وكأنهما مرجعان سابقان وتراث سابق يحال اليه دون تكراره.

ويظهر الموروث فى العنوان بالإضافة إلى ابن سيد وأبى نصر وامرؤ القيس والإحالة إلى أشعار العرب ونحويى العرب وشرح الخطابة من الوافد الموروث عند الفارابى[1]. يكشف ابن باجه حقيقة الظنون التى قيلت عن الفارابى مثل أن الأقاويل الرياضية بلاغية. ويكشف عن سوء تأويل شرح الفارابى كما يفعل ابن رشد مع شراح أرسطو. وكان ابن سيد قد استخرج بعض البراهين من نوع هندسى لم يشعر بها أحد من قبله دون أن يدونها بل لقنها شفاها لاثنين، الأول استشهد فى الجهاد، والثانى ابن باجه الذى استخرجها وزاد عليها وأضاف اليها مسائل برهن عليها وهو فى السجن للمرة الثانية. وكتب عنها إلى الوزير دون تفصيل إتماما لابن سيد واعترافا بفضله. فالمحرك الأول له الفضل على المحرك الثانى. ويكشف السياق عن اشتراك العلماء فى الجهاد ضد الأعداء فى الخارج حتى الاستشهاد وضد الأمراء فى الداخل حتى السجن والاعتقال وعن الأمانة العلمية لابن باجه فى الاعتراف بفضل القدماء ونسبة الحق اليهم دون نسبته إلى نفسه، واستعمال مصطلح المحرك الأول، وهو تصور دينى، كتشبيهات فى تحليل الحركة فى الطبيعيات. ويظهر الشعر العربى كمادة محلية موروثة. فنسبة المنطق إلى الرياضة كنسبة النحو إلى الشعر والخطابة. المنطق نحو الفكر والنحو منطق اللغة. لذلك يروض النحاه المتعلمين بإعراب أشعار العرب كشعر امرئ القيس وغيره.

د- وفى "**النفس النزوعية**" من الوافد يذكر أرسطو ويحال إلى الثامنة من السماع الطبيعى ثم إلى السماء والعالم والحيوان[2]. والموضوع رياضى طبيعى استبعادا للالاهيات وكأنها انحراف عن المنطق والطبيعة. ويعود ابن باجه إلى الكندى متجاوزا إشراقيات الفارابى وابن سينا مما ساعد مهمة ابن رشد فى العودة إلى العقل والطبيعة أساسى للوحى. المشروع الفلسفى فى المشرق العربى عند الكندى هو نفسه المشروع الفلسفى فى المغرب العربى عند ابن باجه وابن رشد حصارا لاشراقيات الفارابى وابن سينا فى الشرق، وابن طفيل فى الغرب.

---

(١) وهو شرح لم يصل الينا.

(٢) رسائل جـ١ ص ١٠٦-١٢٠، بدوى ص ١٤٧-١٥٦.

وابن باجه هو الدارس للشيء والرائي له. والاستشهاد بأرسطو هو إرجاع قوله إلى الشيء المرئي عند ابن باجه. الموروث يوضح الوافد ويؤكده. ويحيل إلى الثامنة ويفهم أنها من السماع الطبيعي. فقد أصبح كل مقال موضوعا توخيا للدقة وتمييزا للموضوعات عن الكتب. لكل متحرك محرك، ومحركه غيره ومن ثم تتوالى أجناس المحرك. ويحيل إلى السادسة في أن الحركة لا أجزاء لها. كما يحيل إلى الثامنة في أن الجمادات ليست تفعل بل تنفعل. ويحيل إلى الخامسة وإلى الأولى من السماء والعالم وإلى الحيوان. ابن باجه هو الدارس ثم يتبين قول أرسطو بإظهار ابن باجه الشيء المدروس.

ومن الموروث يُحال إلى أبي نصر وكتاب الموجودات المتغيرة، كيف يصير ما بالقوة الطبيعية أسفلا أسفلا بالفعل، وكيف يتحرك بحركة محركة. فالحكمة مشروع متكامل بين المشرق والمغرب، بين الفارابي وابن باجه. كما يحال إلى لغة العرب لبيان خصوصية اللغة. ويحاول إيجاد أسماء عربية للمعاني الفلسفية مثل النقلة للحركة في المكان. وإذا قيلت على باقي أصنافه تسمى الانتقال. ويستعمل الأسلوب العربي في زيد وعمرو للاشارة إلى الفاعل أو المبتدأ في النحو أو الموضوع والمحمول في المنطق[1].

هـ- وفي "النزوعية" يظهر من الوافد أرسطو. ويحال إلى "السماء" ثم إلى "الكون والفساد" ثم إلى "الآثار العلوية" و"قاطيغورياس". ومن الفرق يحال إلى المفسرين. ومن الموروث يذكر أبو نصر والمنصور ثم عبد الله بن علي. كما تذكر العربية والعرب والشرع والسنن مما يدل على أولوية الفارابي وظهور بعض المصطلحات الموروثة[2]. ومن مؤلفات ابن باجه يحال إلى رسالة "الوداع" تأكيدا على وحدة المذهب. ويضرب ابن باجه المثل بقتل المنصور عبد الله بن علي وإن لم يفعل ذلك بيده على أن الآلة قد تكون متصلة بالفاعل وقد تكون منفصلة.

و- "وفي المتحرك" من الوافد يذكر سقراط أولا ثم أفلاطون ويحال إلى السماع الطبيعي[3]. وسقراط هو نموذج الشهيد في الوعي الاسلامي، خلود الروح وفناء البدن.

---

(١) الموروث: أبو نصر (١)، كتاب الموجودات المتغيرة، لغة العرب (١).

(٢) رسائل ص ١٢١-١٣٤، بدوي ص ١٥٧-١٦٧.

الوافد: أرسطو(٩)، السماع (٦)، الكون والفساد (٢)، الآثار العلوية، قاطيغورياس (١)، المفسرون (١).

الموروث: أبو نصر، المنصور (٢)، عبد الله بن علي (١)، العربية، العرب، الشرع، السنن(١).

(٣) رسائل جـ١ ص ١٣٥-١٣٩، بدوي ص ١٣٧-١٤٠.

الوافد: سقراط (٥)، أفلاطون (١) السماع (١).

ويضرب ابن باجه المثل بأفلاطون فى الحركة والمتحرك فى ذم المحرك القريب أو مدحه بدلا من زيد وعمرو. والمتقدمون عند ابن باجه أفضل من المتأخرين طبقا لتصور أهل السلف. ويحال إلى "السماع الطبيعى" فى أن الحركة تكون أكثر من محرك واحد، وإلى الثامنة فى أن المحرك الأول الحقيقى هو محرك الحركة السرمدية من خلال حركات الكائنات الفاسدة بالعرض لا بالذات وإلى كتاب "الحيوان" وكتاب "النفس" فى أن المحرك الأول فى الحيوان هو النفس. وواضح كثرة الاحالة إلى الطبيعيات. والاحالة إلى الوافد ضمن نظرية عامة فى الايضاح والاثبات عن طريق اللجوء إلى الأدبيات السابقة تأكيدا للقول بارجاعه إلى الشىء، واثباتا للشىء بابداع السابقين.

ومن الموروث يحال إلى أبى مسلم والمنصور ثم إلى جعفر والرشيد. ومن الألفاظ الموروثة تظهر الشريعة[1]. ويحال إلى أعمال ابن باجه تأكيدا على وحدة المشروع الفكرى إما إلى الشرح مثل الحيوان والنفس أو إلى التأليف مثل رسالة "الوداع" و"سيرة المتوحد". والموضوع هو الله المحرك الأول تعشيقا للوافد فى الموروث طبقا لظاهر التشكل الكاذب. ويظهر الأسلوب العربى الدينى فى لفظ "اللهم". كما تظهر بعض الموضوعات الدينية. وينقل ابن باجه مستوى التحليل الطبيعى للحركة إلى المستوى الإنسانى الشرعى، ومن ثم تصبح الأفعال خاضعة للوم والحمد على ما حرك بالعرض. وفرق فى العقاب بين القتل الخطأ والقتل العمد. ويضرب ابن باجه المثل بقتل الرشيد جعفرا أو قتل المنصور أبا مسلم على اتصال الحركة وانفصالها وعلاقة اليد بالآلة.

ز- و"فى الوحدة والواحد" من الوافد يذكر أرسطو أولا ثم أفلاطون ثم الاسكندر. ومن المؤلفات يحال إلى ما بعد الطبيعة أو الحروف أو الفلسفة الأولى، وكلها أسماء لكتاب واحد مرة مترجما، ومرة معربا، ومرة معبرا عن مضمونه، "الفلسفة الأولى"، وإلى كتاب الحروف للاسكندر. والموضوع أفلوطينى فى الظاهر، إسلامى فى الباطن، التوحيد. ولا توجد فلسفة إلا وتتناول الواحد والوحدانية تنظيرا للتوحيد. ويضرب ابن باجه المثل بأرسطو والفارابى على الوحدة والواحد مما يكشف عن حضور شعورى للوافد والموروث على حد سواء كتجارب حية فى الوعى الفلسفى التاريخى. كما يستحسن تشبيه أفلاطون وأرسطو وليس أرسطو وحده. كما ذكر أرسطو الكامل مجملا فيما بعد الطبيعة، مرسلا دون تفصيل فى المقالة الأولى من "الفلسفة الأولى". ويظهر مصطلح المرسل من علم الحديث. ويفصل ابن باجه الموضوع الذى شبهه أفلاطون بالدوائر اللولبية وأرسطو

---

(١) الموروث: أبو مسلم المنصور (٢)، جعفر، الرشيد (١)، الشريعة (١).

بانحناء الخط المستقيم. ويضرب المثل بالاسكندر على الصور الروحانية مثل زيد وعمرو، وبقوم تبع المذكورين فى القرآن.

ومن الموروث يحال إلى الفارابى. ويذكر قوم تبع ولسان العرب. والدلالة على المعقولات غير معروفة فى لسان العرب وربما فى باقى الألسنة، وهو المعنى الكلى الذى يقال على كثيرين. فالمنطق مرتبط باللغة. واللغة العربية إطار مرجعى ومقياس للفكر. هناك خصائص للمنطق العربى نظرا لارتباطه باللسان العربى فى مقابل المنطق اليونانى وارتباطه باللسان اليونانى. ويستعمل ابن باجه الأسلوب العربى مثل زيد وعمرو للدلالة على الفاعل والمبتدأ والخبر فى النحو أو المحمول والموضوع فى المنطق[1].

ح- و "فى المعرفة النظرية والكمال الإنسانى أو فى الاتصال بالعقل الفعال" يذكر من الوافد أرسطو والاسكندر[2]. وأرسطو هو نموذج العقل الكامل مثل الأولياء، نموذج الاشراقى الكامل، وليس المنطقى الطبيعى، قراءة للوافد بألفاظ الموروث، ويستعير ابن باجه لوصف حالة كون الفعل فى ذاته وبذاته تشبيه الاسكندر للكامل ورجوع ذاته بذاته، الراجع والمرجوع، الذات والموضوع. فيكون روحانيا لا جسمانيا، ولا يحتاج فى وجوده إلى جسم ولا قوة جسمانية.

ومن الموروث يحال إلى أبى نصر والغزالى، ومن المؤلفات إلى كتاب الملة، ومن الفرق إلى الصوفية[3]. وصورة الفارابى عند ابن باجه أنه شيخ يدعو إلى تصفية النفس بذكر الله وتعظيمه فى كتاب "الملة". ويؤيد ابن باجه الغزالى بالرغم من نقده له فى "تدبير المتوحد" وفى "رسالة الوداع". فطريق الصوفية، طريق الغزالى، موصل إلى المعرفة والسعادة ومأخوذ من النبى. ولا يوجد نقد لهم مع أن ابن باجه نقدهم من قبل مع الغزالى. فهو طريق قاصر على بلوغ الصور الروحانية. ويستشهد بقول بعض رؤساء المتصوفين "ولو وصلوا ما رجعوا". ومن ثم يغيب البرهان وإيصال الحقائق للناس. وقد أفرط الصوفية فى وصف هذه الحالة، الخيالات التى توجد فى نفوسهم حسب الظن دون التيقن من صدقها أو كذبها، مجرد نفس نزوعية لا تتصل إلا بالنفس الوهمية. ولا يتحقق

---

(١) رسائل جـ١ ص ١٤٠-١٤٩، بدوى ص ١٤١-١٤٦.
الوافد: أرسطو (٤)، أفلاطون(٣)، الاسكندر(١)، ما بعد الطبيعة، الحروف، الفلسفة، الأولى(١).
(٢) رسائل جـ١ ص ١٥٦-١٥٩.
الوافد: أرسطو الاسكندر (١).
(٣) الموروث: أبو نصر، الغزالى (٢)، كتاب الملة (١)، الصوفية (١).

من الصدق والكذب بالنزوعى المنطقى الذى يصيب النفس بحالة الفرح. أما النزوعية فهى أقرب إلى البهيمية.

وتظهر بعض الموضوعات الدينية مثل الوحى والكهانة والرؤيا والفيض والملائكة والرسل والكتب. وهى موضوعات موروثة خالصة. قد تكون الرؤيا الصادقة بالوحى أوبالكهانة. ولا حرج من الاعتراف بأشكال النبؤات الأخرى. كما يتم العلم بالفيض على الملائكة، ومن الملائكة على عقول الانسان طبقا لاستعداده كما هو الحال عند الصالحين المخلصين المؤمنين بملائكته وكتبه ورسله، وعملوا بما يرضيه فيفيض الله عليهم بواسطة ملائكته فى الرؤيا وحوادث العالم العجيبة. كل ذلك فى موضوع النبوة وتركيب نظرية الاتصال عليها والخيال فى موضوع "بين العقل والقوة المتخيلة واتصال العقل الإنسانى بالأول" على النحو التالى:

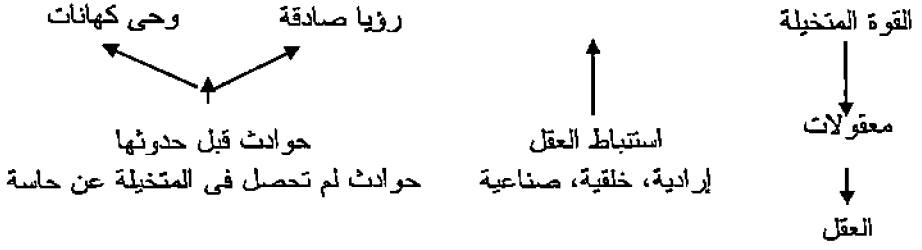

هناك إذن علاقة متبادلة بين العقل والخيال، كل منهما مصدر للآخر. وهو خليط إشراقى من الصوفية والغزالى وأبى نصر مع الاتصال مع الوحى.

ط- وفى "الفطر الفائقة والتراتب المعرفى" يظهر من الواقد أرسطو وحده، نموذجا للمتدين الكامل الاشراقى، وتوارى أرسطو المنطقى الطبيعى[1]. ولا يظهر من الموروث إلا آية قرآنية واحدة. والفطر الفائقة المعدة لقبول الكمال الإنسانى معدة لقبول العقل الإنسانى. فالكمال هو العقل، قبول العقل الالهى المستفاد من الله. وهى الفطر التى تعلم الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والسعادة والبقاء والسرور. والعلم رؤية ببصيرة النفس، موهبة من الله. ويؤدى بلوغ الكمال الإنسانى إلى العلم الالهى والكمال العقلى. وهما أيضا بصيرة للأشياء. فلا فرق بين العلم النازل والعلم الصاعد، بين التنزيل والتأويل. ويتفاضل الناس فى هذه الموهبة التى هى بصائر القلوب. وأعظمها بصائر الأنبياء يعلمون بها الله ومخلوقاته دون تعلم أو اكتساب، علما كليا بالله وملائكته. ثم يأتى

(١) رسائل جـ١ / ١٧٥-١٧٨.

الأولياء بعد الأنبياء. يأخذ أصحاب الفطر الفائقة علمهم من الأشياء، ما يوصلهم إلى العلم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والسعادة القصوى. ويظلون كذلك حتى يروا العلم بأنفسهم، ويرونه ببصائرهم حسب درجات الموهبة من الله. فيأنسون بالعلم، ويلتذون بالفكر، وينعمون بذكر الله، سواء نطقت بذلك ألسنتهم أم لم تنطق. يفيض الله عليهم بحسب الرؤيا جزءا يسيرا مما وهبه الله للأشياء من الاطلاع على المغيبات. ومن الأولياء صحابة النبى، وكل من أخلص وصدق. وبعد الأولياء طائفة وهبهم الله بصائر يتحققون بها تدريجيا حتى يصلوا إلى اليقين بالمخلوقات والعلم بالله وملائكته وكتبه ورسله والدار الآخرة. تبرأوا من البدن، وحصل لهم الكمال وهى السعادة القصوى، بقاء بلا فناء، وعز بلا ذل. يدرك الإنسان أجل مطلوباته، وهو العلم بالله والالتذاذ به، يرضى به ولا يحاكيه. وبفطرته وبصيرته يهتدى إلى علم الأنبياء فيصل إلى العلم الواحد من طريقين. ويفسر سورة الفاتحة فيجعل المنعمين عليهم الذين وهبهم الله المعرفة، والمغضوب عليهم الذين وهبهم الله الموهبة ولكن يتبعون هواهم، والضالون الذين عدموا الموهبة.

والرسالة كلها خطاب دينى مطعم بآية قرآنية، سورة الفاتحة، بالإضافة إلى آيات مرسلة حتى أصبح موضوع الرسالة الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، مضمونها الفقهى. تتأرجح بين الفطرة والاكتساب كما هو الحال فى الأشعرية. لذلك كان الصوفية أدق عندما جعلوا الأحوال مواهب والمقامات مكاسب. كما تتأرجح بين المعرفة والوجود، بين العلم بالغيب والعلم بالواقع والمشاهد، بين الإيمان التعليمى والاستدلال الفعلى كما هو الحال فى حكمة الإشراق. تجعل قدرات الأنبياء نظرية أكثر منها عملية. فهل الأمر لذة المعرفة أم شقاء الجهاد؟ ويتصور ابن باجه مدينة إلهية قمتها الأنبياء ثم الأولياء ثم فلاسفة الإشراق والصحابة والأولياء ويستعمل مصطلحات الصوفية مثل الفناء والبقاء، ولغة اللذة والعشق، حرمانا من الدنيا وإشباعا فى الآخرة، تطهر وثنائية مانوية وكأننا فى "رسالة

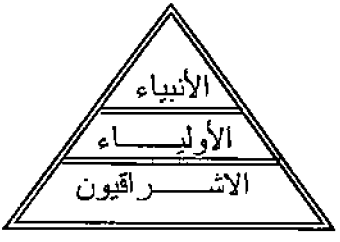

الطير" لابن سينا أو رسائل إخوان الصفا. يفسر الفاتحة تفسيرا صوفيا صرفا، والوحى على نحو إشراقى. والسؤال: كيف يكون هذا الظن والفلسفة يقين وبرهان؟ وتبدأ الرسالة بالفطرة الفائقة المعدة لقبول الكمال الإنسانى المعدة لقبول العقل الإنسانى ثم العقل الإلهى

وهو عقل مستفاد من الله. وتنتهى بالمعقولات الأولى التى يعملها الله للإنسان المعد لأن يعلم بها بالموهبة من الله. وهو دور منطقى، لا يعلم الإنسان الله إلا بالموهبة التى يعطيها الله له وكأن الله هو المهيء للمعرفة وموضوع المعرفة، وأن الإنسان ليس له دور إلا السير فى الطريق المرسوم له.

ى- و"**فى الفيض والعقل الإنسانى والعلم الإلهى**"، من الوافد لايحال إلا إلى اسم كتاب "إيضاح الخير" دون مؤلفه وهو منحول على أفلوطين أو ابرقلس. فالمهم الموضوع لا الشخص حتى ولو لم يتم التعرف عليه تاريخيا ونسبته إلى صاحبه. ومن الموروث لا يحال إلا إلى عيون المسائل للفارابى دون ذكر اسمه مقارنا بالغزالى فى تأويل الكتاب واتفاقهما فى الفيض من العلم الإلهى إلى العقل الإنسانى. وهو موضوع أقرب إلى روح أفلوطين الإشراقى منه إلى روح أرسطو المنطقى الطبيعى. الرسالة كلها وثنيه الطابع. إذ يفيض الله من علمه على موجوداته ومخلوقاته العلم والعمل. فيتقبل كل موجود حسب مرتبته من كمال الوجود. والعقول تقبل من العلم حسب مراتبها، وكذلك الأجرام تقبل الأشكال والصور النفسانية حسب مراتبها، ومراتبها حسب أمكنتها. ولكل جرم سماوى خاضع للكون والفساد عقل ونفس. بالنفس يفعل الأفعال الجزئية المحسوسة على جهة التخيل. وبالعقل يعلم الإنسان العلوم المنزلة عليه من الله ما يتعلق بالماضى وبالمستقبل وما لم يشاهده بالعيان، غيب لا يطلع عليه إلا من يشاء من عباده بواسطة الملائكة. ويحدث العمل عنه فى الأجرام بواسطتها لأن أعماله بذاته عن علمه أو بتوسط عقلى أعلى من الإنسان. فالعمل فيض من الله مثل العلم وفيض على العقول والأجرام. وليس على الإنسان جهد أو إبداع. ونتيجة لذلك سينشأ الإيمان بالقضاء والقدر. الرسالة كلها تصرف ودعاء ودعوات. تحولت من المنطق الطبيعى إلى الفلسفة الاشراقية والمواعظ الأخلاقية. لا فرق بين أبرقلس والغزالى والفارابى وابن باجه. وفى البداية يحيل ابن باجه إلى القضاء والقدر لتقدير الفيض والعلم. وفى النهاية يتحسر على الضلال ويأسف للشغل بالأحوال والأهل. ويدعو القارىء إلى اغتنام التفرغ حيث لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم[1].

٢- **آليات الإبداع**. ويمكن جمع آليات الإبداع فى رسائل ابن باجه كلها فى منطق واحد. يظهر فعل القول كعادة متبعة فى أسلوب التأليف، الأقل منها لأرسطو، والأكثر

---

(١) رسائل جـ٢ / ١٨١-١٨٥، بدوى: الأفلاطونية المحدثة عند العرب ص ١٩٥.
الوافد: ايضاح الخير (١). الموروث: عيون المسائل، أبو حامد (١).

للمؤلف أو للرد على الاعتراض مسبقاً "فإن قيل.. قلنا". المؤلف هو الذى يقول أساسا بضمير المفرد أو الجمع وليس فقط الآخر الفعلى أو الآخر المتوهم فى الاعتراض المسبق. وهو قول موجز وليس شرحا أو إسهابا. الإسهاب نقل، والإيجاز إبداع. وكثيرا ما يذكر القول بمفرده دون نسبته إلى أحد، الأنا أو الآخر. وقد يفهم أنه قول الأنا وليس قول الآخر من السياق وإضافة ضمير المتكلم المفرد أو الجمع لاسم فعل آخر. وقد يستعمل فعل القول كمبنى للمجهول. فالمهم ما يقال وليس من قال. وقد يخلو مقال بأكمله من فعل القول ومشتقاته مثل "تدبير المتوحد" لأنه لا يوجد فيه حوار بين الأنا والآخر بل تعامل مع الواقع المباشر[1].

وقد يقصد المؤلف القول، ويكون للعبارة قوة "أقول" مع فعل آخر مثل: قصد، فرغ، وقف. ويظهر القصد والغرض باعتباره موضوع الفكر. لا يتعامل الفيلسوف مع القول بل مع القصد، والغرض من القول. لذلك يظهر فعل "قصد" واسم "غرض" كثيرا. وقد يضاف إلى القصد ضمير المتكلم المفرد أو الجمع. وقد يعبر عن القصد أو الغرض سلبا بأنه ليس كذا. ويتضح بالتأمل حتى تظهر المعانى القصدية[2]. وتستعمل أفعال البيان فى الأزمنة الثلاثة لإظهار القصد. وكذلك تستعمل أفعال الظهور والكشف. فغاية البيان الظهور.

ويبدو المسار الفكرى وكأنه نظرية فى الإيضاح فى مشتقات لفظ البيان اسما أو فعلا، فى الأزمنة الثلاثة تأكيدا على تواصل المسار الفكرى. وقد يكتفى بالجمع بين زمانين الماضى والمستقبل لما كان الحاضر مجرد ممر من الأول إلى الثانى. تكشف كثير من التعبيرات عن المسار الفكرى لابن باجه وعن وحدة مشروعه الفكرى. يحيل الموضوع إلى موضوع آخر لمزيد من الإيضاح والتفصيل، يحيل إلى موضوع سابق أو لاحق. ويمكن تصنيف هذه التعبيرات طبقا للزمان أو الموضوع أو العموم والخصوص. وأغلب الإحالات إلى الكتب المعينة فى الماضى. ويدل المستقبل على تأجيل تفصيل الموضوع إلى وقت لاحق. ويبدو من المسار الفكرى استنباط النتائج من المقدمات فى استدلال منطقى. ونظرا لطول العبارة استبدل بها المهندسون العلامات. وتظهر أنماط

---

(١) الوداع ص١٢٩، اتصال ١٥٥/١٥٦/١٥٩/١٦٢، الوزير ص٩٤، النفس ص١١١/١١٨، الوحدة ص ١٤١/١٤٥.

(٢) إلى الوزير ص٩٢، النفس ص١١٦/١١٩، اتصال ص١٥٩/١٦٣/١٦٤/١٧١، تدبير ص٨٩، حسداى ص ٧٩-٨٠، النفس ص١١٣/١١٦، الوزيرص٩١، الوحدة ص ١٤٠/١٤٣، الوداع ص١٥٢/١٢٤/ ١٢٥/١٢٨/١٣٠-١٣١/١٤٨-١٥٤.

الاعتقاد من شك وظن ويقين [1].

وتتم الإحالة فى الماضى إما إلى مواضيع عامة سابقة أو إلى كتاب من الكتب المؤلفة سابقا أو إلى علم من العلوم التى تم التأليف فيها سابقا أو إلى الموضوع إجمالا أو تفصيلا. وقد تكون الإحالة إلى الماضى فى صيغة المبنى للمعلوم لأحد مشتقات فعل القول أو بصيغة المبنى للمجهول. وأحيانا تظهر إحدى مشتقات فعل البديان. وهنا ترتبط الإحالة بنظرية الإيضاح. وتكشف الإحالات إلى أعمال أخرى عن وحدة العمل كله أو وحدة المذهب الذى يميل اليه ابن باجه فى باقى أعماله لمزيد من البيان والإيضاح مما يدل على وجود مشروع فكرى عام متكامل لابن باجه. وأكثر ما يحال اليه: تدبير المتوحد، ثم رسالة الوداع ثم كتاب النفس ثم المقولات والحيوان والنبات. وقد يشير إلى العلم مثل العلم المدنى[2]. والإحالة إلى كتاب النفس تأليفا وليس شرحا لأرسطو. فتحول الكتاب من أرسطو إلى الشراح إلى الموضوع أوالعلم هو تحول من النقل إلى الإبداع. تكون الإحالة من كتاب النفس إلى النفس انتقالا من الكتاب إلى الموضوع، خطوة فى التحول من النقل إلى الإبداع. ويتم نفس التحول عند ابن باجه انتقالا من "كتاب التوحد" إلى "تدبير المتوحد". ويمكن عن طريق الإحالة إلى المؤلفات معرفة ترتيبها الزمانى. وواضح أن الإحالات إلى المتأخرة كثيرة ومعتدة. وتدبير المتوحد من أواخر الكتب[3].

ومؤلفات ابن باجه لا تنفصل عن حياته. فكره قدره، وعلمه تجاربه، ولا يقتصر ذلك عليه وحده بل هى سمة عامة عند الحكماء منذ الكندى حتى ابن رشد. الحديث عن النفس، والعلم تجربة. التعاليم الشفاهية بجوار المصادر المدونة، ليس استعراضا ذاتيا أو خروجا عن الموضوعية بل بيانا لنشأة العلم وتكوينه فى الشعور. ويكشف التطور الفكرى لابن باجه عن اشتغاله أولا بالموسيقى ثم بالفلك. والموسيقى علم رياضى وكذلك الفلك

---

(١) تدبير ص١٠١-١٠٥/١٠٢/١٠٩/١١٢-١١٣/١١٩/١٤١/١٤٦، الوداع ص ١١٦/١٤٣-١١٧/١٢٢-١٢٣/١٤٨-١٤٩، الغاية ص١٠١-١٠٢، اتصال ص١٦٠/١٦٦/١٦١، المتحرك ص١٣٧، الوحدة ص ١٤٥، الوزير ص٨٩، النفس ص ١٠٥/١١٢.

(٢) الوداع ص ١٣٤/١٣٨-١٣٩/١٤٢/١٤٧-١٤٩، تدبير ص٩٥/٩٧/١٠٣/١٠٩/١١٣، الوقوف ص ١٠٧، اتصال ص ١٥٧/١٦١/١٦٧، الوزير ص ٨٩، الوحدة ص ١٤٣.

(٣) تدبير المتوحد (١٣)، كتاب النفس (٩)، رسالة الوداع (٧)، المقولات، الحيوان، النبات (١)، العلم المدنى (١)، المتحرك ص ١٣٦-١٣٩، الوداع ص ١١٣/١١٥/١٢٥/١٣٢/١٤٧/١٤٨/١٦٠/١٦١/١٦٦، قول يتلو ص ١٤٧-١٤٨/١٥١-١٥٢، تدبير ص ١٠٤/٤٠، الغاية ص ١٠١-١٠٢، اتصال ص ١٥٩-١٦٣، حسداى ص ٧٨-٧٩.

والهندسة. ويذكر أشبيلية مدينة الموسيقى والغناء مما يدل على الطابع الموروث المحلى للعلم والثقافة والفن. ثم اشتغل بالعلم الطبيعى قدر اشتغاله بالمنطق اعتمادا على الفارابى. وتشمل التجارب الأسفار والأماكن والزيارات. فقد كانت المعرفة تأتى من الواقع المباشر فى مرحلة التأليف كما أتت من النص فى مرحلة النقل، وأتت من العقل الخالص فى مرحة الإبداع. كما ينقد ابن باجه سابقيه ومعاصريه. فهو مرحلة من وعى تاريخى وليس فقط من وعى اجتماعى. يحاور الماضى كما يحاول الحاضر. ويتجاوز الأمر مجرد الطابع الشخصى فى التأليف، رسالة إلى صديق أو إلى فيلسوف، الكندى والمعتصم، ابن رشد والأمير، ابن باجه والوزير، ابن سينا والبلخى. يتحد الموضوع بالذات، والذات بالموضوع، والعلم بالتجربة، والتجربة بالعلم. ولا يعيب ذلك البداية الموضوعية بالعلم. فالعلم تجربة وحياة، هم بين قصر العمر وطوله. وأهم شىء فى السلوك البشرى هو الغاية. وهى التى وضعها الحكماء السابقون وأكد عليها أبو نصر. ومع ذلك منعت ندرة كتبه فى الأندلس من الاطلاع عليها. لذلك يستأنف ابن باجه التأليف، إبداعا لا نقلا، وذاتيا لا موضوعيا. وإن ما تركه أرسطو فى الحادية عشرة من الأخلاق مجمل جداً لا يكفى. وهذا هو دافع التأليف، استكمال ما بدأه القدماء، الوافد أوالموروث، ويشتد هذا الشجن، اللقاء والوداع، فى رسالة الوداع. ولا ينفى ابن باجه تعلمه على أيدى المشارقة بالرغم من بعد المشرق. فالعلم يتجاوز المناطق والجهات، وإن لم يصبح المشرق، رمزا كما هو الحال عند ابن سينا فى "منطق المشرقيين" وابن طفيل فى "أسرار الحكمة المشرقية" أو ابن عربى فى "عنقاء مغرب". والفيلسوف موقف معرض للمخاطر. البدن رقيق، والإنسان وصحبه يستطيع به الأسفار والتحرك واللقاء. ومع ذلك، الأخطار محدقة، أخطار سياسية واجتماعية، وإغراءات دنيوية.

ولأن العلم تجربة حية يخاطب المؤلف القارئ. فالتأليف عمل مشترك، رسالة متبادلة بين المعطى والمستقبل. وفى مخاطبة القارىء يظهر قول المؤلف كما تظهر غايته وقصده حتى البيان والإيضاح. وهو القارىء العادى، دعوة له للمشاركة فى نفس التجارب والتأمل فى النفس للانتهاء إلى نفس النتائج مع غاية الأدب والاحترام له، وكأن ابن باجه يعبر عقليا عن آية ﴿ وفى الأرض آيات للموقنين، وفى أنفكسم أفلا تبصرون﴾[1].

---

(١) الوزير ص ٨٨/١١٥/١٥٤/١٦١-١٦٢/٧٠، الوداع ص ١١٤/١٤٣، الوحدة ص ١٤٩، الغاية ص ٨٩/٦٥/١٠٢، الاتصال ص ٧٢/٥٥-٧٣، تدبير ص ١٢٦/٣٩/٦٥، ابن حسداى ص ٩٦/٨٨/٧٧، النفس ص ١٢٠/١٠٨، النزوعية ص ١٢١، اتصال ص ١٧٢.

ويقوم الفن الشعبى أيضا على تجربة مشتركة بين الفنان والمشاهد مثل قراءة القرآن كتجربة جمالية مشتركة بين المقرىء والمستمع. ويترك للقارىء الاختيار بين طريقين: طريق الكمال المادى بالآلات واليسار، وهو كمال العبيد حتى ولو كان الإنسان حرا. وهو كمال وهمى وإن بدا فى الظاهر كمال الصحة. هو كمال الفضائل الشكلية التى يخضع فيها الإنسان لمدبر آخر سواه، فيخرج عن مرتبة الإنسانية إلى مرتبة أشرف الحيوان غير الناطق، كالأسد فى الجرأة. وقد يحدث الكمال بالصناعات العملية لخدمة إنسان آخر بتوسط مثل الاعداد للخيل أو دون توسط كالكلب. والأفضل الكمال النفسى وبالذات. وهو أشرف مراتب الكمال، عندما تستمد الذات وجودها من ذاتها. وهذا هو طريق الحكماء السابقين واللاحقين فى وعى تاريخى متصل، من الأنبياء إلى الحكماء، دون تجريح للقدماء أو غلق باب الاجتهاد على القادمين. هو خطاب لمن هو أهل له، اعتراف من حكيم إلى حكيم، وتوجيه من شيخ إلى مريد. وينتهى الخطاب بآية قرآنية مرسلة عن هذا الوعى التاريخى من السلف إلى الخلف، من رضى الله عنهم ورضوا عنه، وفازوا بالفوز العظيم. طريق التأمل متصل قبل ابن باجه ومعه وبعده. يشير ابن باجه إلى معاصريه ولمن لديهم الفطرة على السير فيه. قد يكون القارىء متميزاً، وزيرا مثلا، ومريدا طالب الحكمة مع الدعاء له بطول العمر والبقاء والعزة والعافية. يخاطب المؤلف القارىء ويجعله طرفا فى عملية الفكر فى تجربة حضارية مشتركة، ومشاركة المؤلف القارىء ودعوته له تجعل القارىء يكتشف الحقيقة بنفسه استجابة لدعوة المحبة والود والدعوة لطلب الكمال واقتناء الفضائل. وأفضل علم ما تم نقله شفاهياً من الشيخ إلى المريد. فان تعذر لقاء الأبدان يكون لقاء الأرواح عن طريق التدوين. إذا عزت الأذن حضرت العين. وأحيانا يكون العلم استيضاح المدون سواء من المؤلف أو القارىء مما يتطلب تغيير ترتيب العبارة والأسلوب على نحو أفصح. لذلك يشرح المؤلف لمزيد من الإفهام. ويرسل إلى القارىء المدون نفسه. فالعلم تبادل. بل إن المؤلف يسمح للقارىء بأن يحسن العبارة ويجعلها أكثر فصاحة وأنصع أسلوبا. فالقضية واحدة، والهدف مشترك. العلم إذن على ضربين: صناعى وطبيعى. الصناعى ما يتعلمه المتعلم من الآخرين، والطبيعى ما يكتشفه المعلم بنفسه. الأول داخل للنقل، والثانى خارج للإبداع. والعلم مشقة ومعاناة. ممكن بالرغم من زحمة الحياة وضيق الوقت وقصر العمر. العلم هداية من الله وتوفيق منه. فالمتعلم ليس فقط فى حاجة إلى الصدق الالهى لأن العلم كله من الله وهو أسلوب التأليف منذ الكندى بالرغم مما فى الأسلوبين من عجمة لغوية وألفاظ عربية قديمة لم تستمر ربما لأنه أول فيلسوف بالمغرب مثل الكندى أول فيلسوف فى المشرق.

ولا يقل دور الناسخ عن دور القارىء في صياغة النص. فالناسخ هو الذى يقدم النص، ويقطعه إلى فقرات، كل منها مسبوق بقال فلان بكنيته أو بلقبه[1]. "قال"، "يقول" عادة من الناسخ لأنه جزء من الحضارة، وينتمى إلى النص، ويعتبر نفسه مسؤولا عنه مسؤولية المؤلف. يتم ذلك مع الموروث والوافد. تعبير "قال أرسطو"، لايدل على تبعية لأرسطو أو تقليد لأقواله بل هى عادة تقطيع النص إلى وحدات صغرى طبقا للموضوعات. هو عمل إبداعى يدل على فهم تمفصيلات الموضوع بتعبير المغاربة المحدثين. وقد يقوم الناسخ بإضافة مقدمة أو خاتمة قبل فعل القول. ويشعر الناسخ بأن ابن باجه مفكر مسلم ينتمى إلى الحضارة الإسلامية فيطلب رضى الله عنه. وهو يقطع كلامه فى بداية المقال وفى نهايته مع البداية بالبسملة والدعوة بالتوفيق من الله والنهاية بالحمدلة والترحم عليه.

ثالثاً: المجوسى، وابن البيطار، والطوسى، والفارسى، وابن الألعانى.

١ – **المجوسى:** كامل الصناعة الطبية. ويسمى أيضا "الملكى" لأنه مهدى لعضد الدولة كما هى العادة فى أمهات التآليف[2]. وللمؤلف عدة ألقاب ومع ذلك فهو المتطبب أى الذى يمارس الطب دون أن يكون بالضرورة حكيما. فالطب فرع من الطبيعيات من علوم الحكمة[3]. ويتكون من جزأين، الأول فى الطب النظرى والثانى فى الطب العملى. الأول فى فلسفة الطب باعتباره من الطبيعيات. لذلك تتضمن مقالاته العشر المفاهيم الطبية الرئيسية مثل القوى والأفعال والأرواح والعلل والعلاقات والتمييز بين ما هو طبيعى وما هو خارج عن الطبيعى، وطرق الاستدلال [4]. والثانى فى الطب العملى أى فى العلاج والأدوية. وهنا تتغلب الأدوية المحلية العراقية والفارسية والهندية والبابلية. كما تئل الاحالة إلى أسماء الإعلام من الموروث أو الوافد. وهو أكبر من الأول من حيث الكم لأنه تجميع أكثر منه تنظيراً[5]. وبالرغم من المطابع الشمولى للكتاب وتفصيلاته الشديدة

---

(١) أبو على (ابن سينا)، أبو محمد (ابن حزم)، أبو بكر (ابن الصائغ)، أبو نصر (الفارابى)، أبو الوليد (ابن رشد)، أبو يعقوب (الكندى)، أبو حامد (الغزالى)، قاضى القضاة (الباقلانى)، الأستاذ (أبو على الدقاق).

(٢) المجوسى: كامل الصناعة الطبية (جزءان)، القاهرة ١٢٩٤ هـ.

(٣) وألقابه "طبيب زمانه، وفريد عصره وأوانه على بن العباسى المجوسى رحمة الله تعالى ونفع به آمين.

(٤) خاصة المقالات ٤ ــ فى ذكر القوى والأفعال والأرواح ٥ ــ فى الأمور التى ليست بطبيعية ٦ ــ فى الأمور الخارجية عن الأمر الطبيعى. ٧ ــ فى معرفة الدلائل العامة على الأمراض والعلل. ٨ ــ فى الاستدلال على الأمراض الظاهرة للحس وأسبابه. ٩ ــ فى الاستدلال على الأعضاء الباطنة. ١٠ ــ فى الدلائل المنذرة وأسبابها وعلاماتها.

(٥) الجزء الأول ص ٤٣٤، الجزء الثانى ٦٠٨ أى بزيادة حوالى الربع.

إلى أنه يحيل إلى السابق ويذكر به ويعد باللاحق ويوعد به[1].ويغلب زمن الماضى على الحاضر والمستقبل. وأيضا يبين الفكر نفسه بغية الوضوح. لذلك تكثر أمثال عبارة "وقد بينا" وقد "شرحنا" [2]. كما تستعمل أفعال القول فى ضمير المتكلم "فنقول"، "فأقول"، "قلنا" فى أقل القليل. ومعظم الفقرات تبدأ بالأشياء، العلل والأسباب[3]. ويعتمد الملكى على بعض الاقتباسات تنتهى بعبارة "انتهى" التى تعادل قفل القوسين عند المحدثين[4]. ويخاطب القارئ من المتخصصين فى صيغة "اعلم ذلك"، وتكثر فى الطب النظرى عن الطب العملى أو فى صيغة "افهم" [5].

وفى التصدير يصف المجوسى الحالة الراهنة للطب فى عصره. فأبقراط إمام الصناعة، حوى كل شيء فى كتاب "الفصول" إلا أنه سلك طريق الايجاز حتى غمض كثير من معانى كلامه مما يحتاج إلى تفسير. وجالينوس مقدم فاضل وضع كتبا كثير ولكنه طول وكرر وجادل وعارض مما يحتاج إلى اختصار وتركيز فى كتاب واحد يوفى بغرض الصناعة. ولا يوجد كتاب وسط بين التفريط والافراط إلا "الملكى". وأوريباسيوس قصر فى كتابيه لابنيه ولعوام الناس. فلم يذكر شيئا من الأمور الطبيعية والأسباب. وكذلك لم يذكر قوليوس فى كتابه من الأمور الطبيعية إلا اليسير، وبالغ فى بيان الأسباب والعلامات وأنواع المداواة والعلاج باليد دون أن يتبع طريق التعليم. هذا فى الوافد.

وأما المحدثون أى فى الموروث فلا يوجد إلا كتاب هارون الذى وضع فيه كل شئ ولكن على طريق الايجاز من غير شرح واضح. وترجمته سيئة تعمى على القارئ كثيراً من المعانى خاصة من لم ينظر فى ترجمة حنين. فكتاب هارون وافد أصبح موروثاً. ولم يذكر سرابيون فى كتابه إلا المداواة والتدبير، وأسقط العلاج باليد، وترك كثيرا من العلل. ووضع مسيح كتابا مثل هارون ونحا نحوه فى قلة شرح الأمور الطبيعية وغير الطبيعية مع سوء وقلة معرفته بالكتب السابقة. وهذه مرحلة متوسطة بين النقل

---

(١) وإذ قد ذكرنا، على ما ذكرنا، لو قدم الذى ذكرنا، وإذ قد أتينا ذكر، وإذ أتينا على ذكره، بما ذكرنا آنفا، نحن نذكر، بما سنذكره.

(٢) وإذ قد بينا، وإذ بينا وشرحنا، وإذ قد اتينا وشرحنا، مبينا أسباب.

(٣) نقول (١٥)، أقول (٧)، قلنا (٥).

(٤) انتهى (١٠).

(٥) اعلم ذلك، اعلم ارشدك الله، فاعلم ذلك ترشد، اعلمه، فافهم ترشد، فافهم ذلك، فافهم ذلك ترشد جـ١ (٧٥)، جـ٢ (٣٥).

والإبداع، مرحلة تأليف الأطباء السريان باليونانية أو السريانية.

ثم بدأت مرحلة التأليف عند الرازى فى كتابة "المنصورى" حاويا كل شيء إلا انه لم يستقص شرح ما ذكره، واستعمل طريقة الايجاز والاختصار. ووضع فى "الحاوى" كل شيء إلا أنه لم يذكر شيئا من الأمور الطبيعية ولا وجوه التعاليم. وتعنى الأمور الطبيعية المسائل النظرية كالأمزجة والأخلاط والأسطقسات. ونقصه الترتيب إلى جمل وأبواب وفصول ولا أورد ما يوجبه القياس. وجاء عائق الموت قبل إتمامه مع أنه طول فيه بغير حاجة. جمع فيه ما قاله الأطباء، قدماء ومحدثين[1].

وكرد فعل على هذه الحالة الراهنة للتأليف الطبى فى عصره بين الاطناب والايجاز، وبين النظرية والممارسة، وبين الوضوح والغموض أتى "الملكى" جمعا بين الطرفين، بالاضافة إلى الاعتماد على الطب المحلى فى العراق وفارس وليس فقط على طب اليونان [2].

ويحدد "الملكى" مناهج البحث الطبى أى النحو التعليمى عن طريق القسمة لأن أنحاء التعليم خمسة: التحليل بالعكس، التركيب، الحد، الرسم، ثم القسمة. فالتحليل بالعكس يقوم على وصف الشيء فى الوهم من أوله إلى آخره وهو التحليل ثم من آخره إلى أوله وهو العكس. والتركيب هو إعادة جمع الأشياء التى تم تحليلها فى الطريق الأول. والحد هو تصور الشيء ووضعه فى أجناسه وأنواعه وفصوله. والرسم هو وصف الشيء من أعراضه دون جوهره أى من كيفياته دون ذاته. أما طريق القسمة فهو قسمة الشيء إلى سبع جهات، قسمة الجنس إلى أنواع، وقسمة النوع إلى أشخاص، وقسمة الكل إلى الأجزاء، وقسمة الاسم المشترك إلى معانى مختلفة، وقسمة الجواهر إلى أعراض، وقسمة الأعراض إلى جواهر، وقسمة الأعراض إلى أعراض [3].

وتتم مخاطبة القارئ بصيغة "اعلم" لمشاركته فى العلم. فهو يكتب للمتخصصين. وتتخلل الكتاب بعض الرسوم التوضيحية للآلات الطبية، مزيدا فى الايضاح [4].

---

(١) السابق جـ١ ص ٢-٩.

(٢) السابق جـ١ ص ١٠-١١.

(٣) السابق جـ١ ص ٤١/٤٣/٦٢/٧٢/٨٣/٨٧/٨٩-٩٠.

(٤) السابق جـ١/٥٢.

ويتعادل فيه تمثل الوافد مع تنظير الموروث. ففى الوافد يتصدر أبقراط ثم جالينوس ثم أوريناسيوس ثم فولس وأنطات وقولبيوس وأرسطو. ومن الشرق أنوشروان[1]. وغالباً ما ترد أسماء الوافد فى التسميات والمصطلحات وكأن المجوسى يعرف المسميات ويريد فقط إطلاق الأسماء عليها. ولما كانت الأسماء والمصطلحات فى الغالب يونانية عند أطباء اليونان تمت الاحالة اليهم. فالكتاب تأليف فى الموضوع أى الطب وليس شرحاً أو تلخيصاً أو جوامع لطب اليونان. ومع ذلك تظل الأسماء قليلة بالنسبة لحجم الكتاب وكأنه أقرب إلى الابداع منه إلى التأليف.

ومن المؤلفات يذكر كتاب "الفصول" و"حفظ الصحة"، ولأبقراط كتاب "تقدمة المعرفة". ويحال إلى "القدماء من الأطباء" إحساسا بتطور علم الطب من القدماء إلى المحدثين. ولا يذكر ديسقوريدس لأنه لم يكن قد تمت ترجمته بعد. ويستشهد بكسرى أنوشروان على أهمية العلم. فإذا كان النقل من الغرب اليونان فالوجدان فى الشرق الفارسى [2].

ومن الموروث يتصدر بطبيعة الحال اسم المؤلف على بن العباسى المجوسى ثم أستاذه أبو ماهر موسى المجوسى ثم عضد الدولة الذى كتب له المجوسى كتابه "الملكى" والكندى وهارون ثم حنين بن اسحق، واسحق بن حنين، ويوحنا بن سرابيون، ومسيح، والرازى، ويحي النحوى، ومحمد عليه السلام [3]. وواضح أن الأطباء السريان كانوا مرحلة متوسطة بين النقل والابداع بالتأليف فى المنقول باليونانية أو السريانية أو العربية. ولا يذكر الكندى إلا فى العلاج وكأنه ليست له نظريات فى الطب [4].

ويظهر الموروث أكثر فى تصور العالم أكثر من أسماء الأعلام. فالطبيعة من خلق الله، وعلم الطب هو الكاشف عن الخلق. كما أن علم الطبيعة فى الكلام هو الكاشف عن حدوث العالم. ويبدو الخلق فى التصور الوظيفى للأعضاء. فكل شيء فى البدن من أجل وظيفة. والوظيفة هى الغاية. وهو ما يسميه علم الكلام العناية [5]. لذلك كان الطب أكرم صناعة كرم الله بها عز وجل خلقه. فقد خلق ما خلق من أجل الإنسان. لذلك تكثر

---

(١) أبقراط (٣٠)، جالينوس (١٦)، أوريناسيوس (٢)، فولس، أنطات، قولبيوس، أرسطو (١)، ومن الشرق أنوشروان (١).

(٢) إذا اراد الله خيراً جعل العلم فى ملوكها والملك فى علمائها، السابق جـ٢ /٢.

(٣) على بن العباسى المجوسى (١١)، أبو ماهر موسى بن سياد المجوسى (٤)، الكندى، هارون، عضد الدولة (٢)، حنين بن اسحق، اسحق بن حنين، يوحنا بن سرابيون، مسيح، الرازى، يحي النحوى، محمد عليه السلام (١).

(٤) الملكى جـ٢/٢٦٦/٥٧٥.

(٥) والله تعالى أعلم بالحال جـ١/١٤٧/٩.

تعبيرات "الله أعلم"، "الله تعالى أعلم" خاصة فى الطب النظرى وتعبيرات "باذن الله تعالى" فى الطب العملى[1]. ويبدأ الكتاب بحمد الله والثناء عليه والشكر له، خالق الخلق بقدرته، وباسط الرزق بحكمته، والمنان على عباده بفضله، والمعطى لهم ما يقدرون به على إصلاح معايشهم فى الدنيا والفوز فى الآخرة. هو العقل سبب كل خير، ومفتاح كل نفع، والسبيل إلى النجاة، وفضله على سائر ما خلق من نبات وحيوان [2]. وتنتهى كل مقالة "بحمد الله وعونه"، و"الله الموفق للصواب"، وغيرها من العبارات الايمانية التى قد تطول وتقصر. وتغلب الايمانيات أيضاً على المصحح، وذكر التاريخ الهجرى. وتظهر البسملة وسط الكتاب فى بداية بعض المقالات [3].

وهو أيضاً مهدى إلى السلطان لدرجة تسمية الكتاب الملكى [4]. والسلطان والعالم قديما الذى يشجع العلم والعلماء زينة البلاط خير من السلطان الجاهل حديثا الذى يزين مجلسه بضباط الجيش والشرطة.

٢ــ **ابن البيطار**. واستمر تمثل الوافد مع تنظير الموروث فى القرون المتأخرة، السابع والثامن فى الطب والرياضيات. مثال ذلك "**الجامع لمفردات الأدوية والأغذية**" لابن البيطار (٦٤٦هـ)[5]. وغرض الكتاب استيعاب القول فى الأدوية المفردة والأغذية

---

(١) والله أعلم جـ١ (٢٧)، جـ٢ (١٠٧)، والله تعالى اعلم (١٠).

(٢) إن شاء الله تعالى جـ١ (١٨)، جـ٨ (٩٦) باذن الله تعالى جـ٢ (٧).

(٣) مثل "والحمد لله وصلى وصلى الله على من لا نبى بعده سيدنا محمد وآله وصحبه جـ١/٢١٧، والله المسؤول على معونتنا على تمام ما نقصد اليه، إنه ما على يشاء قدير، وهو حسبى ونعم الوكيل،جـ١/ ٥٥٢، تم بعون الله وحسن توفيقه بحمد الله وعونه جـ١/٨٤، والحمد لله على كل صلاة جـ٢/٦٠٧، وبالله التوفيق جـ١/١، جـ٢/١، والله الموفق جـ٢/١، المصحح جـ٢/٦٠٧، عام ١٢٩٤ هـ.

(٤) "فقد أسعد الله الملك الجليل العنصر، الفاضل الجوهر، عضد الدولة، بما خصه الله به من الفضائل النفسية والفضائل الشريفة، وأعطاه من العقل أوفره، ومن الفهم أغزره ومن الذهن ألطفه، ومن الخلق أبهاه، ومن الخلق أرضاه، ومن الدين أحسنه، ومن الحلم أقصده، ومن الحياء أحمده، ومن الرأى أصوبه، ومن التدبير أجوده، ومن الفضل أكمله، ومن الثناء أجمله، ومن النفس أكبرها، ومن الهمم أبعدها، ومن الشجاعة أبرعها، ومن الفصاحة أبلغها، ومن البلاغة أتمها، ومن السماحة أعمها، ومن المنطق أحلاه، ومن الملك أسناه، ومن العز أسماه، ومن الرتب أعلاها، ومن الكرامة أهناها، ومن المنازل أرفعها، ومن النعم أسبغها، ومن القسم أجزلها، ومن السير أعدلها، ومن السياسة أحكمها، وكمل له هذه الفضائل فى المناقب ورتبها وزينها بما قرن بها من محبة العلم والحكمة وأهلهما والرغبة فيهما، والحرص على استفادتهما، والبحث والتفتيش عما وضعته العلماء فى كل نوع منها"، السابق جـ١/٢/١.

(٥) ابن البيطار: الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، أربعة أجزاء فى مجلدين، مكتبة المثنى، بغداد. وله أيضا الابانة والاعلام عما فى كتاب المنهاج من الخلل والأوهام، جـ١/١٦.

المستعجلة فى الاحتياج وإسناد الأقوال لأصحابها، وإثبات صحة النقل فيما ذكره الأقدمون والمتأخرون وتصحيح ذلك بالمشاهدة كما سيكرر ذلك ابن خلدون فى التحقق من روايات السابقين فى أول "المقدمة"، واستبعاد التكرار إلا عند ضرورة البيان، والترتيب الأبجدى لسهولة المعرفة، والتنبيه على الأغلاط فى الدواء والمراجعة والتصحيح، وذكر أسماء الأدوية بسائر اللغات وأماكنها، بالبربرية واللاتينية وهى أعجمية الأندلس المشهورة عند العرب وموجودة فى الكتب وتشكيل الأسماء منعا للخطأ[1]. لذلك سمى "الجامع" بين الدواء والغذاء. جمع فأوعى، واختصر فاستقصى. وهو مجرد قاموس طبقاً للحروف الأبجدية مثل تفسيره للأدوية المفردة لجالينوس. وقد تختلط أسماء الأدوية وأسماء الأعلام نظراً لأن كثيرا من أسماء الأدوية منسوبة إلى أصحابها. واسم المؤلف نفسه مشتق من اسم المهنة، البيطار من البيطرة. ونظراً لكثرة التعريب يصعب التمييز بين اسم الدواء واسم الطبيب فكلاهما يونانى. ويستمر الكتاب على وتيرة واحدة كالقاموس لا يقرأ كلياً بل يستفاد منه جزئيا وحين الحاجة.

ويحيل ابن البيطار إلى مؤلفه الآخر مما يوحى بوحدة عمله[2]. ولا تظهر فى الكتاب أفعال القول كثيرا لأن المادة العلمية خاصة أسماء الأدوية لا يقولها أحد. ويذكر الموروث راويا للواقد فى رواية مزدوجه كما هو الحال فى التناص فى الأدب مثل قال "الرازى قال جالينوس"[3]. وقد بدأت فى القرن السابع حركة تأليف الموسوعات وتجميع المعلومات. فالذاكرة تنشط عندما يهن العقل. لذلك غلب على الكتاب التجميع فى عصر المدونات والموسوعات فى الأندلس وقت الضياع كما حدث فى المشرق إبان الحكم العثمانى.

وللتجميع مصادر متعدّدة مدونة وشفاهية مع بعض الاقتباسات لتعريف أسماء الأدوية دون تحليل[4]. وأحيانا لا يذكر المصدر ويكتفى بفعل القول فى المبنى للمجهول "قيل". وتذكر بعض كتب الرحلات العلمية مثل "الرحلة المشرقية"[5]. وأحيانا يذكر الكتاب وأحيانا الكتاب وصاحبه وأحيانا المؤلف فقط ما يدل على التأرجح بين العمل وصاحبه.

لذلك غابت الدلالة، وقل الفكر نظرا لأن التيارات الفكرية كحركة فى التاريخ قد

---

(١) السابق جـ١ / ٣ ص ٢ /٤٠/٤٦.

(٢) هو كتاب "الابانة والاعلام بما فى كتاب المنهاج من الخلل والأوهام" جـ١/ ١٦.

(٣) جـ٢ / ١٤٦.

(٤) جـ١ / ١٧٦.

(٥) جـ٤/٧٤ جـ٣/٣٩، لدرجة عدم ذكر اسم مؤلفه ولم يعد كذلك فى العصور التالية.

ضعفت أو توقفت. العلم هو تجميع المعلومات وفى الطب بوجه عام مع بعض التصحيحات والزيادات بناء على التجربة والقياس. ومن كثرة التجميع لا يكاد يظهر تعليق على منقول. وكتاب "التجربتين" مشهور فى عصره.

والواقد فى العمق، والموروث فى الاتساع. فمن الواقد يتصدر ديسقوريدس ثم جالينوس ثم أرسطو ثم بديقورس ثم أبقراط ثم بولس، ثم روفس ثم هرمس من مجموع ثمانية وعشرين علما يونانيا[1]. ومن أسماء الكتب يحال إلى عشرات[2]. ويذكر اليونانيون واليونان واللغة اليونانية ثم اللاتينية والرومية ثم انطاليا ثم لينوس وعشرات من البلدان من البيئة اليونانية[3].

أما الموروث فيتصدر الرازى مع بعض كتبه مثل "الحاوى" و"المنصورى" و"دفع مضار الأغذية" ثم الغافقى ثم ابن سينا ثم الشريف الادريسى ثم اسحق بن عمران ثم أبو حنيفة الدينورى، ثم ابن ماسويه ثم عيسى بن ماسة ثم التميمى ثم على بن ربن الطبرى ثم حبيش من حوالى سبعين اسما[4]. ومن أسماء الكتب العشرات[1]. وفى البيئة الجغرافية

---

(١) الواقد: ٢٨ علما: ديسقوريدس (١١٦٥)، جالينوس (٦٤٢)، أرسطوطاليس (٣٠)، بديقورس (١٩)، أبقراط (١٦)، بولس (١٥)، روفس (١٣)، هرمس (١٠)، كرقراطيس (٣)، قسطس لوطوس (٢)، دياغورس، سطراطيس، منسيمس، فورس، قرانيطس، أرياسيس، ابراقيطوس، سادوق، ديوجينس، مالينوس، دوفس، ارياسلس، بيواس، الاسكندر (ذو القرنين)، أطورمس، قراطس الرومانى، بلياس (١).

(٢) مثل: الفلاحة النبطية (٣)، رسالة إلى أغلوقن، كتاب الأغذية، كتاب التدبير فى الفلاحة الرومية (١) كتاب الأسرار لهرمس.

(٣) اليونانية (٩٠)، اليونانيون (١٢)، اللاتينية، الرومية (٣) القبرس (٥)، إيطاليا (٤) أهل رومية (١٣)، ملك الروم (٢)، بلاد الروم، مصاليا، طورش، بلاد إيطاليا، أرمنيا، سوريا، فرفيس، ارقاما، قيدغرس، عاليا، قنادوقيا، انطيفورا، إقليقيا، أطروسيقا، أسبانيا، سرديليا، أنطاكية، لوندة، الروم، الأفرنجية (١).

(٤) الرازى (٣٥٣)، مع الحاوى (٦٠)، الحاوى (١٧)، المنصورى(٢٧) دفع مضار الاغذية(٤٥) (٤٥٧)، ابن سينا (٢٦٠)، مع القانون (٦)، الغافقى (٢٠٢)، الشريف الادريسى (١٨٠)، اسحق بن عمران (١٦٠)، أبو حنيفة الدينورى (١٣٢)، ابن ماسويه (١٣٢)، عيسى بن ماسة (١٠٠)، المسيح بن الحكم الدمشقى(٩١)، التميمى (٧٣)، على بن ربن الطبرى، حبيش (٥٥)، ابن جلجل (٥٠)، أبو العباس النباتى (٤٨)، حنين بن اسحق (٤٥)، البصرى (٤٣)، سليمان بن حسان (٣٥)، ابن سمحون (٣٠)، الاسرائيلى (٢٨)، المجوسى، ابن واقد (٢٤)، اسحق بن سليمان (٢٣)، ابن رضوان، أبو جريج الراهب،ابن سرابيون صاحب فقه اللغة (٢٠)، ابن الجزار (١٨)، سفيان الأندلسى (١٧)، البالسى (١٣)، أبو العباس الحافظ (١٢)، الخليل بن أحمد، على بن محمد (١٠)، محمد يعبدون ابن التلميذ (٧)، الكندى (٦)، حسين بن على، ابن البطريق، الدمشقى، عيسى بن على حكيم بن حنين (٥) ابن وحشية، أبو عبيد البكرى، أمية أبن أبى الصلت (٤)، السعودى، ابن رقيا، الجاحظ (٣)، ابن حجاج -

تأتى الأندلس ثم الهند ثم مصر وفارس ثم المغرب وأفريقيا ثم الصين ثم البربر وفلسطين والترك ثم قبرص وعشرات من الأماكن الصغرى[٢].

ولا يوجد إحساس قوى بالتمايز بين الوافد والموروث بعد أن أصبح الوافد موروثا. كلاهما علم يتم تجميعه بصرف النظر عن مصدره ونشأته. وأحيانا تظهر بعض الأسماء التى كانت معروفة فى عصرها ولكن شهرتها لم تستمر مثل باقى الأطباء الكبار. وأحيانا يذكر اللقب دون الاسم تحولا من العالم إلى العلم.

من الوافد يمدح حنين بن اسحق لأن كان مدققا فى علمه بلغة اليونانيين. وهو من أفضل النقلة فيها الا أنه لم يثبت فى هذا الموضع فزل بذلك جميع من أتى بعده من علماء عصره. وتكثر أعلام الوافد والموروث لدرجة أنه تقل عدد الصفحات الخالية منها. وأحيانا يذكر اسم العلم واحد مثل مسيح وأحياناً كاملا مثل مسيح بن الحكم. وقد ذكر أرسطو راويا عن آخرين[٣]. ويظهر هرمس فى الطب وليس فقط فى الحكمة وكأنه شخص حقيقى مما يدل على التحول من الأسطورة إلى الشخص ومن الشخص إلى الأسطورة[٤]. ويكثر حضور مصر والمشرق فى المغرب على عكس المغاربة المحدثين أنصار القطيعة المعرفية، ومصر هى حلقة الاتصال بين المشرق والمغرب. كما يكثر حضور آسيا بالرغم من بعدها. ويعظم حضور الهند وفارس الجناح الشرقى للحضارة الاسلامية.

- الأشبيلى، الخوز، ابن الصائغ، على بن أحمد، أهرن القس، أحمد بن داود (٢) وحوالى ثلاثين اسماً كل منها مرة مثل ثابت بن قرة، يونس الحرانى، قسطا بن لوقا، اسطفن بن باسيل، ابن سهلان، ابن جزلة.

(١) مثل: التجربتان (٥٠)، الفلاحة النبطية (٤٠)، خواص ابن زهر (٣٢)، الرحلة، المنهاج (٢٥) الرحلة لأبى العباسى النباتى، المدخل التعليمى للرازى، العلل العادية للرازى، عجائب البلدان لابن الجزار، الكرمة لحنين، الرحلة المشرقية لأبى العباس الحافظ، السموم للكندى، الجوهرة، إصلاح الأدوية المسهلة، المغنى المفرد فى أوصاف الورد، الجامع الكبير للرازى، الكيموسين لحنين، الشراب للرازى، التكميل، دفع مضار الأغذية، الأدوية المسهلة، الأسماء الهندية، الاختصارات الاربعين، الجواهرى للطبرى، الكرمة، الترياق، السحائم، الارشاد.

(٢) الأندلس (١١٥)، الهند (٨٥)، مصر، فارس (٧٠)، المغرب، افريقيا (٥٠)، الصين (٤٠)، البربر (٣٥)، العرب، الروم (٣٠)، العراق (١٥)، الاسكندرية، اليمن (١٠)، القاهرة (٧)، بيت المقدس، فلسطين، الترك (٦)، قبرص (٥)، وعشرات من الأسماء الأخرى مثل الحبشة (٥)، الصين، اليمن (٤)، أسبانيا، غرب الأندلس، تونس (٣)، شرق الأندلس، جبل لبنان، مراكش (٢).

(٣) جـ٣ /١١/١٨/٦٤، جـ٣ /١٠-١١ جـ٢ /٤٥.

(٤) مرتبط بالواقع البيئى المحلى سواء فى الوافد أو الموروث. وقد يظهر ذلك سليما مثل غياب الدواء فى منطقة جزائية بعينها مثل المغرب أو الأندلس.

كما يحضر الجنوب، أفريقيا ويكثر الحديث عن البربر كما هو الحال عند ابن زهر وابن خلدون دون أدنى حرج كما هو الحال فى هذه الأيام. كل ذلك يؤكد وحدة العالم الاسلامى كحضارة وفى نفس الوقت ظهور الخصوصيات الاقليمية فى الطب الجغرافى أوالجغرافيا الطبية. علم مرتبط بالواقع البيئى المحلى سواء فى الوافد أو فى الموروث. وقد يظهر ذلك سلباً مثل غياب الدواء فى منطقة جغرافية بعينها مثل المغرب أو الأندلس. ويتم الحديث عن الفلاحة الفارسية وهو غير الفلاحة النبطية[١].

ولا يظهر ابن رشد كثيرا إما لنكبته وضياع كتبه ولأنه لم يعش فى التراث التالى له واما لأن هذا هو أثره الفعلى فى التاريخ، وأن تضخيم دور ابن رشد إنما كان من أثر الرشدية اللاتينية والفكر العربى المعاصر تبعية للاستشراق وهجوما على الجماعات الاسلامية المعاصرة باسم التنوير[٢]. والعجيب أن ابن زهر أكثر ذكرا منه وهو الذى قدمه ابن رشد وطلب منه تأليف كتابه "التيسير".

وأحيانا يقع التقابل بين الأنا والآخر، بين نحن وهم[٣]، هو يقول وأنا أقول. وهناك إحساس بتطور العلم وتغير الزمان من الطب القديم إلى الطب الحديث[٤]. بل يتطور المؤلف نفسه من مرحلة الشباب إلى مرحلة الكهولة، ويذكر الكندى اذى يكاد يتوارى فى التراكم الفلسفى[٥]. وقد تغير الوافد القديم من اليونان إلى الوافد الحديث من الغرب أى الأفرنج ايطاليا وفرنسا شمال العالم الاسلامى. فيتحدث ابن البيطار عن بلاد الافرنج كما سيتحدث ابن خلدون فيما بعد. فقد بدأت الحروب الصليبية، وعرف المسلمون حضارة الشمال[٦].

ويذكر ابن البيطار أسماء المدارس الطبية المختلفة مثل أصحاب القياس وأصحاب التجربة، وعلى أساسها يقوم تصحيح الأقوال التى تبدأ بلفظ "زعم" لذلك يقول بعد وصف الدواء "وهو مجرب". وربما ترجع أخطاء الأقوال عن المفسرين والشراح اللغويين غير الأطباء[٧]. بالاضافة إلى ذلك هناك أيضا دراسة الحالة التى تقوم على مشاهدة. لذلك

---

(١) جـ١ /٣٥ جـ٢ /١٤٧ /٢٦.

(٢) مثل فرح انطون "ابن رشد وفلسفته" وتبعيته لرينان فى كتابه "ابن رشد والرشدية".

(٣) جـ ١/١٠٠ جـ٢ /١٦٢/٤٢ جـ٣ /٩٩/٦٨ جـ٤ /٢٠٩.

(٤) جـ٢ /٦٦ جـ١ /٤٧.

(٥) جـ٤ /٣٣.

(٦) جـ٢ /١٥٥.

(٧) السابق جـ١/٣-٥/٥٧/٧٦/٤٨-٤٩ جـ٣ /١٢٠ جـ٤/٦٥/٧٣/٩ /٣٢/٤٨ جـ٣/١٢٩/١٣٧، ويمكن اعداد رسالة جامعية عن القياس والتجربة فى الطب العربى.

يقول "ورأيته بحد البصر".

ومن ثم يقوم ابن البيطار بتحليل الموضوع وهو الأدوية على مستويات ستة: الدواء واسمه معرب أو منقول ولغته يونانية أو لاتينية وآثاره أى علاجه وطرق معرفته التجربة أم النقل وأماكن وجوده فى الشرق أو المغرب أوفى بلاد الافرنج.

وبطبيعة الحال تبدو بعض العبارات الايمانية من خلال الكتاب بالرغم من قلتها بالنسبة لهذا العصر المتأخر الذى تزداد فيه نظرا لتغلغل الأشعرية والتصوف فى الثقافة الشعبية وربما لأنه مجرد قاموس. تبدأ الأجزاء بالبسملات وتنتهى بالحمدلات. ويستعمل أسلوب القرآن الحر مثل: لقد جئت شيئا قربا. ويتدخل الله كعلة فاعلة للأمراض والعلاج والشفاء. فهو الذى خلق بنية الانسان وسخر له ما فى الأرض من جماد وحيوان ونبات وجعلها أسبابا لحفظ الصحة وشفاء الدار. وبعض الأدوية تم الارشاد إليها فى المنام. وكل شيء بمشيئته وإذنه. وقد ذكر الله البقل فى القرآن وأشاد به الشعراء. وتعرف الخليل بن أحمد على الموز فى القرآن. وتتم دعوة الله أن يحفظ البلاد[1]، الأندلس ويعيدها إلى الاسلام بكرمه[2]، إما الجزيرة كلها أو ما ضاع منها فى الشرق. فالكتاب يحمل "هموم الفكر والوطن". ويخاطب القارىء، فالعلم تجربة مشتركة بين المؤلف والقارىء. ولا يمنع ذلك من طلب التأليف بأمر من السلطان[3].

٣- **الطوسى.** وفى القرن السابع الذى حمل لواءه الفكر الشيعى فى العلوم الطبيعية والرياضية والاخلاقية يمثل **"التذكرة فى علم الهيئة"** لنصير الدين طوسى (٦٧٢هـ) نموذج التعادل بين الوافد فى العمق والموروث فى الاتساع[4]. فمن الوافد يتصدر بطليموس ثم أرشميدس وإقليدس فحسب. ومن الكتب يتصدر المجسطى ثم السماء والعالم[5].

---

(١) جـ١/٢-٣/٤٨/١٤٥/١٥٥/٥٠/٥٢/٥٧/٨٩/٧٤/٣٧/٤٠، جـ٢/١٧٩/٤٠/١٢٦.

(٢) السابق جـ١/٢١/١٣٧ جـ٢/٩٧ جـ٣/١٤٥ جـ٤/١٥٥.

(٣) وتشكر المطبعة خباب اسماعيل بن ابراهيم بن محمد على، ومحمد باشا توفيق، وسعادة حسين كامل ناظر الجهادية ودولتو حسن باشا. وحضرة محمد افندى حسن وحضرة أبى العنين أفندى جـ٤/٢١١.

(٤) نصير الدين الطوسى: التذكرة فى علم الهيئة، مع دراسة لاسهامات الطوس الفلكية، دراسة تحقيق د. عباس سليمان، دار سعاد الصباح، القاهرة ١٩٩٣.

(٥) الوافد: بطليموس (١٣)، أرشميدس، اقليدس (١). المجسطى (٤)، السماء والعالم (١).
الموروث: ابن سينا، ابن الهيثم (٢)، البيرونى، الرازى (الطبيب)، المأمون (١).
ومن الأماكن: جزائر الخالدات (٣)، البحر الغربى، الحبشة، المغرب، مصر، مكة (٢)، أندلس، بربة سنجار، الشام، مصر، البحر الجنوبى، بحر خوارزم، بحر طبرستان، بحرورنك، الخليج الأخضر،=

ويبدو ارتباط الطوسى ببطليموس شارحا مسار فكره، يدخل فيه ويعلل اختياره أحد الاحتمالين. ثم يتجاوزه إلى ابن الهيثم المتمم له. والحقيقة أن بطليموس هو شارح السيوطى وارتباط السيوطى به مجرد ارتباط الجديد بالقديم، مثل ارتباط الاسلام بالمراحل السابقة للوحى، المسيحية واليهودية تطويرا وإتماما لها[1]. ولما ارتبط الفلك بالهندسة تم الاعتماد على أرشميدس ومصادراته لبيان مساحة الدوائر بالتقريب وعلى إقليدس لبيان نسبة الكر إلى الكره. هدفه تنقيح بطليموس من سوء الترجمة والشروح. و"المجسطى" نفسه مجرد رواية عن الفلك القديم فى حاجة إلى برهان[2].

لم يتوقف شرح الوافد والتأليف فيه فى هذا العصر المتأخر بل ظهر فى نوع أدبى جديد هو التحرير أى إعادة الكتابة والعرض[3].

ومن الموروث يتصدر ابن سينا وابن الهيثم ثم البيرونى والرازى الطبيب والمأمون. ومن البلدان جزائر الخالدات ثم الحبشة والمغرب ومكة ثم الأندلس وبرية سنجار والشام ومصر. ومن البحار والخلجان البحر الغربى ثم البحر النوبى وبحر خوارزم وبحر طبرستان وبحر درنك والخليج الأخضر والخليج الأحمر والخليج البربرى وخليج فارس. ويبين الخلاف بين ابن سينا والرازى تطويرا للتراث الفلكى الموروث ويستأنف أحكامهم مثل حكم ابن سينا على بقعة بأنها من عزل البقاع وتفسير الرازى ذلك بأنه تشابه الأحوال لأنها فى خط الاستواء. كما يعتمد على ابن الهيثم ومؤلفاته وعلى البيرونى وطرقه فى معرفة مساحة الأرض. ويذكر طائفة من الحكماء فى عهد المأمون[4]. وفى نفس الوقت ينقد علم التنجيم وخرافات المنجمين وأهل الطلسمات ومزامعهم وإسقاطاتهم البشرية على الأفلاك: الدب والتنين والهواء والدجاجة والعقاب والأرنب والكلب والغراب والسبع والحية والفرس[5].

وقد يكون الدافع على تأسيس علم الهيئة هو التوجه القرآنى نحو الطبيعة ﴿ تبارك

= الخليج الأحمر، الخليج البربرى، خليج فارس (١).

(١) التذكرة ص١٥١/١٥٧-١٥٩/٢٠١-٢٠٢/٢٠٤-٢٧٩/٢٨٠-٢٨٣/٢٨٩/٢٩٣/٢٩٥.

(٢) السابق ص ٢٧٥/٢٨٨/١١١-١١٢.

(٣) لنصير الدين مؤلفات فى الوافد مثل: تحرير المجسطى لبطليموس فى علم الفلك، شرح كتاب الثمرة فى أحكام النجوم لبطليموس، تحرير كتاب ظاهرات الفلك لاقليدس، تحرير كتاب أرسطرفس فى جرمى النيرين وبعديهما، تحرير كتاب الأكر وتحرير كتاب المساكن لثاوذوسيوس.

(٤) السابق ص ٢٣٦-٢٣٧/٢٠٢/٢٠٤/٢٧٦/٢٧٨.

(٥) السابق ص ١٣٩/١٤٢/١٠٧/٢٠٧/٢٩٨.

الذى جعل فى السماء بروجا» والتأمل فى السماء والأرض. فعلم الهيئة مرقاة منصوبة إلى السماء العلى. كما يرتبط فى تطوره بالفقه ومعرفة مواقيت الصلاة والصيام والحج. وقد يكون الدافع على الابداع فيه الرغبة فى التنبؤ بحوادث المستقبل وتحويل التنجيم إلى فلسفة فى التاريخ من أجل التنبؤ بقيام الدول وسقوطها. كما تظهر صفات الله مستمدة من علم الهيئة مثل فاطر السماوات والأرض فوق الأرضين. ويبدأ النص بالبسملة وينتهى بالحمدلة لله مفيض الخير وملهم الصواب والصلوات على محمد المبعوث بفصل الخطاب وعلى آله خير آل وأصحابه خير أصحاب. ويذكر علم الهيئة لبعض الأحباب ويدعو لهم بتمام التوفيق وحسن المآب.

وقد ارتبط الطوسى بهولاكو وانقسم إلى حاشيته كما ارتبط ابن خلدون بتيمورلنك. وأسس له هولاكو مرصد مراغة، ولم يكتف بمجرد الدعوة لله والسلطان.

٤- **الفارسى.** ومع الطب ازدهر الحساب فى إيران عند الشيعة فى القرون المتأخرة التى ظن أهل السنة ان الفلسفة قد انتهت عند ابن رشد فى الأندلس. مثال ذلك **"أساس القواعد فى أصول الفوائد"** لكمال الدين الفارسى (٧١٨ هـ) مع شرح ابن الخوام البغدادى من نفس القرن[١]. وهى موسوعة رياضية مثل طابع الموسوعات فى هذا العصر حفاظا على التراث وتدوينه من الذاكرة. تتضمن علم الحساب فى العاملات وقوانين البيوعات وفى أنواع المساحات للسطوح والمجسمات وعلم الجبر والمقابلة وكيفية استخراج المسائل به. من شرح الوافد يتصدر اقليدس ثم أرشميدس المجسطى، وتاوذوسيوس، وفيثاغورس[٢]. ففى كتاب إقليدس عن الأصول ومبادئ براهنيها حوالى مائتى شكل ورسوم توضيحية، جعل مبدأ العدد الوافد. بين وسمى ووضح ما يعرف الطوسى. ويذكر اسم قشا، وهو مهندس أراد معرفة مساحة أحد الأشكال. وقال بالكسور. وتستعمل أفعال البيان مع أرشميدس. وتذكر أكر تاوذوسيوس. وقد وصل العرض إلى درجة عالية من التجريد والتجميع تكشف عن فقد الدافع الحيوى فى الابداع بالرغم من وضوح مسار الفكر، ومخاطبة القارىء، وشرح الغامض، وإضافة كثير من الجداول التوضيحية، واستعمال أفعال البيان فى الأزمنة الثلاثة[٣]. ويتم استعمال القياس أى النظر

---

(١) كمال الدين الفارسى: أساس القواعد فى أصول الفوائد، تحقيق د. مصطفى موالدى، معهد المخطوطات العربية، القاهرة ١٩٩٤ شرح ابن الخوام البغدادى "الفوائد البهائية للقواعد الحسابية".

(٢) اقليدس (٢٤)، ارشميدس (٦). المجسطى (٢).

(٣) السابق ص ٤٠٨-٤١٥/٤٣٨-٤٣٩/٨٦/٢٢٤/١٥٢.

والاستدلال ولا يأتى الاستقراء إلا استثناء من القاعدة.

ومن الموروث تذكر الآيات ثم بنو موسى ثم الرسول ثم الكرجى ثم علمين أبى طالب وعشرات آخرين[1]. وتدل الآيات على الحساب الدقيق من الله وتأسيس علم الحساب بتوجه قرآنى[2]. وكلها فى سياق واحد، الحساب الدقيق فعل الهى. وعرضه على بن أبى طالب بداهة. ويستعمل الموروث مثل أبى موسى فى كتاب "معرفة الاشكال البسيطة والكرية" لشرح الواقد ومعه الكرخى فى كتابه "الكافى فى مساحة ذوى الاضلاع الكثيرة" وأبو يونس الموصلى والمسعودى، وهناك أيضا نقد متبادل فى الموروث مثل نقد الموصلى الكرخى بأنه أخذ أمرا جزئيا واستعمله مكان أمر كلى. واستعمل الشعر كوسيلة للتعبير عن الحساب عودا إلى المخزون العربى القديم[3]. ويستلهم السرى الرقاء والسموأل وعروة بن الورد والمتنبى وآخرين. ويتصف الله بصفات حسابية. فهو الذى لا يعده عد أو الطبيعة. وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده. وتظهر الصور القرآنية فى الأسلوب مثل ﴿ آنست نارا ﴾. وبالرغم من الطابع التجريدى للنص الا أنه يكشف عن حياة المؤلف ومراحل عمره. فالعلم فى القلب والروح. وكما بدأ النص بالبسملة فإنه ينتهى بالحمدلة والصلوات على الرسول[4].

٥- **ابن الألعانى.** وفى القرن الثامن يمثل، **"غنية اللبيب عند غيبة الطبيب"** للألعانى (٧٤٩ هـ) عودا إلى الطب[5]. من الواقد يتصدى أبقراط كبير الأطباء ثم جالينوس فاضل الأطباء. ولا يوجد موروث إلا التصور الدينى للخلق. فقد خلق الله الانسان فى أحسن تقويم، وخلق بدن الانسان من أعضاء متوازنة وأمشاج متعادلة وقوى ظاهرة وباطنة، وخص كل واحد بما لم يخص الآخر بناء على مبدأ التفرد الشخصى.

---

(١) الآيات (٥)، بنو موسى (٤)، الرسول، الكرجى (٢)، على بن ابى طالب أمير المؤمنين، ابن محمد الخوام البغدادى، ابن محمد الجوينى، ابن يونس، الموصلى كمال الدين، بهمينار الحكيم، الجوينى محمد بن محمد، الطوسى، عزيز مصر، الفارسى، قشا، السعودى، ومن الأنبياء محمد ، ويوسف.

(٢) الآيات هى: ﴿ ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾، ﴿ وكفى بنا حاسبين ﴾، ﴿ وان كان مثقال حبة من خردل آتينا بها ﴾ ، ﴿ وهو أسرع الحساب ﴾، ﴿ لتعلموا عدد السنين والحساب ﴾، ﴿ هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل ﴾، ﴿ اجعلنى على خزائن الأرض وإنى حفيظ عليم ﴾.

(٣) أساس القواعد ص ١٤١/٢٦٦/٤٢٦/٤٣١/٤٤٠/٣٤٦/٤٢١/٥١٥.

(٤) السابق ص ١٤/٦٢/٥٧-٥٩/٦٧-٦٨/٥٨/٦٠/٢٦٢/٢٩٢/٣٠٨/٤٥٩/٤٦٩/٥١٢/٦٠٦.

(٥) محمد بن ابراهيم بن ساعد الأنصارى المعروف بابن الألعانى: غنية اللبيب عند غيبة الطبيب، وتحقيق صالح مهدى عباس، جامعة بغداد، مركز إحياء التراث العربى، بغداد ١٩٨٤.

والعلاج قوة أودعها الله البدن فى حال صحته كافية شافية فى دفع المرض لأن الأدوية لا تعالج الأمراض بل تساعد الطبيعة. وإذا ظهرت للطبيعة حركة إلى جهة قصد نحوها كما هو معروف فى العلاج الطبيعى. ويبدأ النص بالبسملة وينتهى بالحمدلة، وكل شىء بهدى الله وتوفيقه والصلاة والسلام على من بشر به المسيح بعد الكليم[1].

رابعا ــ داود الأنطاكى، والقليوبى، والمنذرى.

١- **داود الأنطاكى.** وقد استمر هذا النوع الأدبى حتى القرن العاشر فى:

أ- **تذكرة أولى الألباب والجامع للعجب العجاب"** لداود الأنطاكى (١٠٠٨ هـ) والمشهور باسم "تذكرة داود" والذى أصبح فى الثقافة الشعبية دليلا على الشفاء وفى الثقافة العالمة مؤشرا على الجهل والخرافات والطب غير العلمى والوصفات الشعبية مع أنه صورته فى التاريخ هو الحكيم الفيلسوف الماهر الفريد، الطبيب الحاذق الوحيد جالينوس أوانه وأبقراط زمانه، العالم الكامل، الهمام الفاضل الشيخ داود الضرير الأنطاكى، "نفعنا الله بمؤلفاته آمين"[2]. فهو الجامع بين الموروث والوافد. وهو طبيب ضرير. الجزء الثالث من عمل تلاميذه كتعليق وهو المملوء بالطب النبوى والطلاسم والذى طغى على جزئى الأستاذ لما فيه من إغراء شعبى وإغواء للناس[3].

والدافع على التأليف الجمع والاحصاء والحفظ والتدوين فى عصر الموسوعات فى القرون المتأخرة وفى نفس الوقت إعطاء مختصر وليس مطولا طبقا لهموم قصر العمر[4]. وقد يكون الدافع هو الوطن ووضع الطب بين أيدى المسلمين بعد أن كان بأيدى اليهود وهو أشبه بالقاموس مثل "القانون فى الطب" لابن سينا "فى الأدوية المفردة والحشائش" لديسقوريدس و"جامع مفردات الأدوية. "لابن البيطار" وتذكر أحيانا المصادر التى يتم منها التجميع مثل الفلاحة النبطية، وإرشاد اللبيب، جمعا بين رجوع الشيخ إلى صباه، شرح الأسباب، شرح القانون ويضم أربعة أبواب معظمها يبحث فى الكليات والقوانين، القانون لابن سينا والكليات لابن رشد. الأول كليات العلم والمدخل إليه لتصنيف العلوم، والثانى قوانين الافراد والتركيب، والثالث المفردات والمركبات، والرابع الأمراض

---

(١) السابق ص ٢٠-٢١/٥٨-٥٩.

(٢) داود الأنطاكى: تذكرة أولى الالباب والجامع للعجب العجاب (ثلاثة أجزاء)، نسخة مصححه على النسخة الأميرية المطبوعة عام ١٢٨٢ هـ.

(٣) السابق جـ٣ /٢-١٨٣.

(٤) السابق جـ١/٣٢/٥/١٨/١٠٣-١٠٤/١١٣/١٤٦/١١٦/٣٠٦ جـ٢/٦٥/٧٧/٢٠.

وعلاجها وهو أكبر الأبواب. والخاتمة نكت وغرائب ولطائف وعجائب للتشويق والتى طورها التلاميذ. وهو أفضل النصوص المتأخرة فى علم المتقدمين. ومن هنا أتت شهرته عند العلماء. وكل مسألة عملية لها مقدمة نظرية. هناك البنية قبل الأبجدية[١].

وتنقسم العلوم طبقا لمناهجها إلى قسمين: الأول بالفيض والإلهام، والثانى بالتجربة والقياس. والطب من النوع الثانى. كما تنقسم من حيث تعلمها إلى ضرورية ومكتسبة، والطب من النوع الثانى. فالطب جزء من نسق عام للعلم، مرتبط بعلم النجوم والجغرافيا والأخلاق. يقوم على مقدمات نظرية فلسفية كلامية أولى قبل أن يكون علما عمليا للممارسة والعلاج. لذلك ارتبط الطب بالفلسفة الأولى.

وهو ينقد أطباء العصر وينعتهم بالجهل. ويقيم الطب على التجربة والقياس. لذلك يكثر تعبير "ومن المجربات". ويقيم طب السابقين مثل الرازى. يقبل ما هو أصح عنده ويرفض استدلالات إذا كانت صورة القياس باطلة. ومع ذلك سادته بعض الخرافات للربط بين الطب والفلك فى صورة التنجيم خاصة لو كانت البداية بنظرية الفيض. والاعتماد على الأفلاك للشفاء عجز عن فهم الأمراض وعللها وأدويتها، بالرغم من أن الربط بين الطب والجغرافيا فى الطب الجغرافى أو الجغرافيا الطبية تيار علمى. وفى العصور المتأخرة عندما توقف الإبداع وتم اكتشاف الأصول الأولى، النبوة وما قبلها فى الشعر، ظهر الطب النبوى إما بمفرده أو بالتوفيق بينه وبين الطب العلمى. بل إن أرشميدس هو أول من أسس علم الطلسمات ربطا للحاضر بالماضى، وللموروث بالوافد مع كثير من الرسوم التوضيحية.

ويظهر الوافد فى العمق والموروث على الاتساع[٢]. فمن الوافد يتصدر جالينوس ثم أبقراط مع الأستاذ ثم المعلم الأول والمعلم والحكيم ثم أفلاطون ثم هرمس ودسقوريدس اليونانى وأندروماخوس ثم إقليدس ثم ديموقريطس وآل إسقلبيوس والاسكندر وفيثاغورس وحوالى عشرين آخرين[٣]. ومن الصفات يتصدر اليونانى مذكرا ومؤنثا ثم الروم ثم

---

(١) السابق جـ٢ /٢-٧.

(٢) الوافد حوالى ٢٥ علما والموروث حوالى ٦٠ علماً.

(٣) جالينوس (٦١)، أبقراط (٣٣) + الأستاذ (٥)، المعلم الأول، العلم، الحكيم (١١)، أفلاطون (٧)، هرمس، ديسقوريدس اليونانى، أندروماخوس (٥)، إقليدس، الإسكندر (٤)، آل إقليبوس، فيثاغورث، ديموقراطيس (٣) أفلاطونيات (٢)، أرسطيبوس، روفس، إسقليبوس، فيلاطوس، إفراقيلس، سوماخوس، أنطاغوراس. أفليون، فولس، بطليموس، سمانيطس الأنطاكى، فورفريوس (١)، اليونانية=

السريان خاصة باللسان أو القوم. ومن الفرق الحكماء ثم الصقالية ثم القدماء والأطباء والفلاسفة وحكماء النصارى وبعض الأطباء وحكماء مصر والأقباط. ومن الأسماء المعربة الأرتماطيقى، جوماطريا، قاطيغورياس. ويدل تحليل الألقاب مثل الفاضل لأبقراط وجالينوس على مدى تعظيم القدماء. والبعض منهم أشبه بالرسل عليهم السلام مثل آل اسقليبوس وهرمس عليهما السلام. ويذكر الواقد البابلى، حكيم من بابل يسمى دويدرس البابلى. ويبدو أن آدم تراث قومى عند الكلدانيين وكما ظهر عند البيرونى.

ويظهر الواقد فى أسماء الدواء من الشمال والجنوب والشرق والغرب على النحو الآتى:

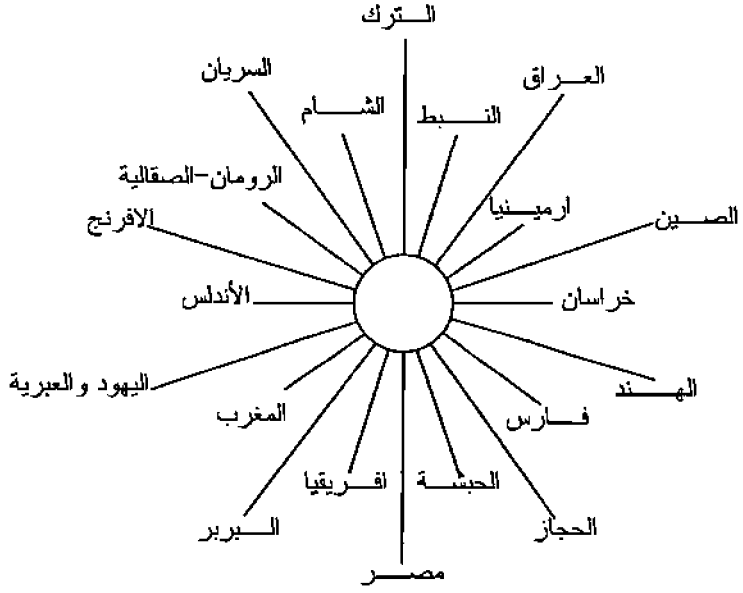

ومن الموروث يتصدر ابن سينا والشيخ ثم بختيشوع ثم الرازى وأبو الفرج ثم النفيس ثم ابن التلميذ ثم ابن رشد والكندى وابن ماسون (ابن النفيس) وابن البيطار وأبو البركات الطبيب والشريف والترمذى وابن عباس والحاكم وإدريس فى المرتبة السادسة ثم عشرات الأطباء الآخرين والصحابة والفقهاء والمؤرخين والحكماء والخلفاء وزوجات

- (٧٧)، الروم (٣٠)، السريانى (١٦)، اللاطينية (٧)، الحكماء (٦)، الصقالية (٢)، المتأخرون، القدماء، الأطباء، الفلاسفة، حكماء النصارى، بعض الأطباء، حكماء مصر، الأقباط (١)، ومن الأماكن: إنطاكية (٣)، الإسكندرية، البندقية، الإغريقية (٢)، سقلية، الإفرنجى (١). الأسماء المعربة: الإرتماطيقى، جومطريا، قاطيغورياس (١).

الرسول والأنبياء الأقل تكرارا[1]. ومن أسماء الأماكن يتصدر الهندى ثم الفارسى ثم العربية ثم الشام ثم العراق ثم المغرب ثم البربرى ثم أرمينيا والعبرية ثم الزنجى والحجاز والأندلس وسرنديب ثم بغداد والقدس ثم إفريقيا وعشرات آخرين من الأماكن الأقل تكرارا[2]. ويتصدر الحديث القرآن، وكلها فى الطب النبوى. تتعلق بالخلق والحكمة والحمى والمرض والعدوى ووسائل العلاج والاتكال على الله[3]. ومنها حديث بالفارسية "اشلم درد" ومعناه وجع البطن[4].

ويبدو مسار الفكر حتى فى التجميع، الإحالة إلى السابق. وكما يبدأ الكتاب بالبسملة ينتهى بالحمدلة ويعطى صفات للذات تتعلق بالطب مثل مبدع مواد الكائنات بلا مثال سبق، ومخترع صور الموجودات فى أكمل نظام ونسق، ومنوع أجناس المزاج الثانى نتائج الأوائل، ومقسم فصوله المميزة على حساب الفواعل والقوابل، والمجرب المعيشى. وكل شىء بحمد الله وتوفيقه وبمشيئته، له الحكم فى كل شىء. وهو الشاهد، لا ضرر ولا

---

(١) ابن سينا (الشيخ) (٣٣)، بختيشوع (٧)، النفيس (٦)، الرازى، أبو الفرج (٥)، ابن التلميذ (٣)، ابن رشد، ابن ماسويه، أبو الفرج، ابن البيطار، الكندى، أبو البركات الطبيب، ابن النفيس، الشريف، المسيحى، إدريس (٢)، الطبرى، الزهراوى، ابن الصلاح، ابن وحشية، ابن زكريا، الشافعى، ابن القف، المعلم الثانى، على بن ابى طالب، ابن جبريل الرشيد، ابن حنين، جعفر الصادق، ابن قرة، ابن سراپيون، فخر الدين، البغدادى، الفارسى، ابن جبريل، الشريف، جرجس، اسحق بن يوحنا، الجرجانى، ابن جميل، ابن الملوك، الطوسى، عائشة، كف مريم، الصائغ، ابن الجزار، ابن الأشعث، أبو حنيفة، الشريف، جرجس بن يوحنا، أمين الدولة، الفاضل بن يحيى جزلة، الحاذق الفاضل محمد بن على الصورى، اخنوخ، سليمان، ابن السنى، أبو نعيم، صهيب، أحمد، أبو هريرة، البزاز، رحمون بن موسى اليهودى (١).

(٢) الهند (١٣٤)، مصر (٩٩)، فارس (٧٨)، الصينى (٤٠)، العربية (٢٥)، العراق (١٧)، المغرب(١٥)، بربرى (١٢)، أرمينيا، العبرية (٨)، الزنجى، الحجاز، الأندلس، سرنديب (٤)، بغداد، القدس (٣)، إفريقيا (٢)، نيسابور، سوس، القلزم، السودان، دجلة، جحون، عجمى، كرمانى، خراسان، النبطى، اليمن، حلب سجستان، بابل، خوزستان، ديار بكر، جزيرة العرب، (١). أسماء الفرق: النصارى (٣)، الترك (٢)، جل المحققين. الكادانيون(١).

(٣) الحديث (١٥)، القرآن (١). والأحاديث مثل: الحمى قطعة من النار فأطفؤوها عنكم بالماء البارد، الحمى من فيح جهنم فبردوها بالماء، ما من عبد يعمد فى الإسلام أربعين سنه إلا حرق الله عنه أنواع المرض، الجنون والجذم والبرص، لا عدوى ولا طيرة، فمن أعدى الأول، كل باسم الله، عليكم بالأبكار فإنهن أعذب أفواها.. وارض بالسير، هلا بكرا، عليكم بأبوال الإبل البرية وألبانها ص٢/١٣٠/١١١/٦٩/٦٥/٤١/٤٣/١٠٠/٤.

(٤) السابق ص٢/٨٠.

نفع إلا بقضائه، وهو أعلم من العلماء[1].

ويمتلىء التذييل لبعض التلاميذ كنموذج للعمل الجماعى الذى يكشف عن الوعى الجمعى بالثقافة بالرسوم التوضيحية والمعادلات والصور للملائكة، والجداول الإحصائية وحساب القوى الطبيعية وجداول طبائع الحروف وتراكيبها وجداول الأفلاك وجداول الكلمات وأشكال الأحجبة ورسوم هندسية وصوّر حيوانات. ويضيف الرقى والطلسمات والفلقطاريات والموسيقى والسمياء كأجزاء من الطب مع بيان الدلالة السحرية لأعضاء الجسم اعتمادا على علم النفس الإيهامى والصوفية ومشايخ الطرق وعلم الأسرار والحروف ونماذج من الدعوات والاحجبة والصلوات للشفاء مع إضافة القرآن. كل شىء له حجاب مثل كل شيخ وله طريقة، مما يكشف عن صراع مكتوم بين الخرافة والعلم[2].

ومن الوافد يتقدم جالينوس ثم أبقراط ثم فرفوريوس وأفلاطون ثم فيثاغورث وارکيغانس وسقافيلوس. ومن أسماء الفرق يأتى الحكماء ثم الفلاسفة ثم حكماء اليونان. ويذكر الفرنجة إحساسا بالشمال الناهض وباليونانية. ومن الكتب يذكر السماع والطبيعيات[3].

ومن الموروث يتقدم الشيخ (ابن سينا) ثم الإمام الشافعى ثم الرازى والمعلم الثانى (الفارابى) ثم الشيخ محمد زيتون ثم السهروردى والشيخ الفاضل أبو الفرج الملطى ثم الغزالى وذو النون المصرى والبهلول وعبد الله بن هلال والحكيم أبو بكر والحلاج والطرطوسى والشيخ على المقدسى وسليمان ونوح[4]. وواضح سيادة الصوفية على الحكماء[5]. كما تكثر الأسماء الخرافية السحرية مثل شمهورش فى الثقافة الشعبية. ويتم الشفاء بآيات القرآن والأحاديث المكررة، وكما تطور الطب النبوى إلى الطب العلمى بفضل الوافد يتحول الآن الطب العلمى إلى الطب النبوى "مؤسلما" الوافد. تكثر آيات

---

(١) السابق جـ١/٢-٣/١٩/ ص٢/٩١/٧٩/٩١/١٠٣/١٣٦-١٣٧/٣٤/٢٩٢.

(٢) السابق جـ٢/٤/١٥١/٥٦/٨٣/٨٧/٩٢-٩٣/١٤٠-١٤٢/١٤٧/٥٧-٥٨/٨٠-٨٢/ ٨٥/٨٩/٩٥/٩٩/ ١٠١-١٠٢/١٣٣-١٣٤/١٣٩/١٤٦/١٤٨/١٥٢/١٧٦-١٧٧.

(٣) جالينوس (١٠)، أبقراط (٩)، فرفريوس، أفلاطون (٢)، فيثاغورس، ارکيغانس، سكافيلوس (١). الحكماء (٤)، الفلاسفة (٣)، حكماء اليونان (١).

(٤) الشيخ (ابن سينا) (٧)، المعلم الثانى (الفارابى)، الرازى، الإمام الشافعى، الشيخ محمد زيتون (٣)، السهروردى، الملطى (٢)، الغزالى، ذو النون، البهلول، عبد الله بن هلال، الحكيم أبو بكر، الحلاج، الطرطوسى، الشيخ على المقدسى (١).

(٥) وذلك مثل: عبد الرازق، عبد الله، أبو فروة، الملك المكرم، السيد الأعظم، عبد رب، آل شداد، أدوناى ص٣/٨٦.

القرآن فى الأحجية[1]. ومن الأماكن تذكر الهند وحكماء الهند ومصر والعرب ثم الحجاز والصين[2]. ويحال إلى بعض المصادر الموروثة[3].

وتزداد العبارات الإيمانية فى البداية والنهاية وألقاب التشايخ والتنبيه على أن المنفعة والضرر من الله، وأن الأدوية ليس فى قوتها ما ينفع ولا يضر. إنما هى عادة. ويقتصر ذلك على المسلمين وحدهم وكأن الجسم يتحدد طبقاً للملة. وكل شىء بقدرة الله ومشيئته وإذنه، وكله من عجائب الحكمة الإلهية. والشفاء لا يتم إلا بالقرآن كتابة وقراءة.

ب- ولداود الأنطاكى أيضا "**التزهة المبهجة فى تشحيذ الأذهان وتعديل الأمزجة**" على هامش "التذكرة"[4]. وهو آخر ما ألف مما يكشف عن نضجه العقلى ورؤيته الفلسفية وعن تجاوز التجميع من الكتب السابقة إلى التفكير وضم المعقول إلى المنقول. مصادر التأليف عقلية أكثر منها نقلية مثل الحكميات والفلسفة، وإرجاع المركب إلى البسيط، ووضع الجواهر فى الألفاظ مما يدل على غلبة التفكير على التدوين، والداخل على الخارج. ويقوم ذلك كله على مسلمة تطابق العقل والوجود، الذات والموضوع. ومن ثم يعود الطب إلى أصله فى واجب الوجود. ليس الغرض تكرار المادة الطبية بل تأسيسها على نحو عقلى وهو على هذا النحو أقرب إلى الإبداع الخالص بالرغم من ظهور الواقد والموروث. فالكتاب فى فلسفة الطب أكثر منه فى الطب[5]. لذلك تقل الرسوم التوضيحية

---

(١) مثل: ﴿ فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾، ﴿ الله لا اله الا هو الحى القيوم﴾، ﴿ ونزعنا ما فى صدورهم من غل﴾، ﴿ انفروا خفافا وثقالا﴾، ﴿ وأنزل الفرقان﴾، ﴿ يأيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى﴾، ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح﴾، وحديث: "كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه باسم الله فهو أبتر"، "تداووا فان الذى أنزل الداء هو الذى أنزل الدواء"، "وما من داء إلا وله دواء"، "الدواء من العقر"، "من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل"، "العين حق" جـ٣/٢-٣ /٨٩-٩٠/ ٩/ ١١/ ١٣٥/ ١٣٦/ ١٤٥/ ١٠٢/ ١٣٥/ ١٧٢/ ١٢٦.

(٢) هندى، حكماء الهند (٣)، مصر العرب (٢)، الحجاز، الصين (١).

(٣) "ولتعلم يا أخى وتعتقد أن الأدوية والأغذية لسائر المفردات والمركبات ليس فى طبعها ولا قوتها أن تجلب نفعا ولا تدفع ضررا إنما الله هو الفاعل المختار والنافع الضار، يحدث عند تعاطيها النفع والضرر عادة ولا تتخلف ولا يجوز تعاطيه لغير إسلامى لأنه يشتمل على أحاديث كثيرة ولا يجوز إعارتها ولا مطالعتها لأنه من الكبائر" جـ٣/٣ ص٢/٣-٤-٥/ ٤٥/ ١٣٢/ ٩٨/ ١٢٦/ ٤٤/ ٥٨-٥٩/ ٦٤/ ٩٠/ ٩٢.

(٤) "لم أكن فيها كلا على كتاب بل اقتصرت على ما فى قوى عقلى من مسألة وجواب، واعتمد على ما أرشد اليه الدليل والاجتهاد، وصح عليه التعويل والاعتماد. فان نقلت عبارة فللمناقشة أو نظرت فى كلام فللمناقشة (على هامش التذكرة). النزهة جـ١/ ٤-٦

(٥) النزهة جـ١/ ٣٨/ ٦٦/ ٦٨/ ١٤٤/ ١٨٦/ ٢٣٥/ ٢٨٩ جـ٢ /١٣/ ٢٢/ ٥٩.

ويختفى الترتيب الأبجدى نظرا للاعتماد على العقل الخالص. تظهر روح إخوان الصفا من جديد، الكل فى الكل. ويكثر تقييم التراث الطبى السابق والحكم بالصحة والبطلان والصواب والخطأ. ويظهر التمايز بين الأنا والآخر فى أفعال القول، "أنا أقول" (١).

وكما بدأ الفارابى باحصاء العلوم ينهى داود أيضا بتصنيف العلوم ووضع الطب فيه. فالطب جزء من العلوم الطبيعية كالصيدلة والكيمياء والنبات والحيوان والطبيعة، وعلى صلة بالعلوم الرياضية كالحساب والفلك والهندسة والموسيقى. وكلاهما على صلة بالعلوم الانسانية كالجغرافيا والتاريخ بل وبالعلوم الشرعية مثل علوم الحكمة الالهية الكلامية والفقهية، العقيدة والشريعة، النظر والعمل على النحو الآتى:

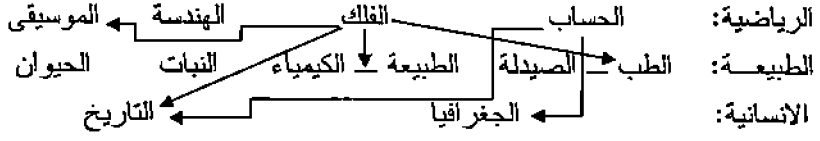

ويتضح من ذلك أهمية الفلك وأثره على العلوم الطبيعية كالطب والصيدلة والطبيعة والكيمياء بل وعلى الموسيقى، وأهمية الحساب للجغرافيا والتاريخ. والأعلى هو الذى يؤثر فى الأدنى مما يعطى الأولوية للعلوم الرياضية على الطبيعية والانسانية. كما ترتبط العلوم الرياضية بعضها بالبعض مثل الفلك والموسيقى. فالكون نغم، والنغم روح. الطبيعة والروح لغة واحدة. شرف العلم طبقا لمرتبته أى لشرف الموضوع. وهو الأعلى الذى يجمع بين المراتب الثلاث أو لجمعه بين مرتبتين أو لمدى الحاجة إليه فى مرتبة واحدة وهو المستوى الانسانى(٢). ويحتاج الطبيب إلى كل هذه العلوم. فهو من علوم الحكمة. البداية من أعلى. كل علم يؤدى إلى الآخر فى نسق استنباطى واحد. الشريعة قاموس إلهى، وجزء من نسق العلم. فالشريعة سياسة الأرواح كما أن الطب سياسة الأبدان. ولا فرق بين العلوم العقلية الرياضية والطبيعية والانسانية والعلوم النقلية. والنبوة جزء من منظومة العلوم.

ويتضح ذلك النسق فى مقدمة الكتاب وتبويبه. إذ تشمل على استنباط الطب من الحكمة. ثم تعالج الأبواب الثمانية الكليات، والأسباب، والأحوال والعلامات، والقوانين

---

(١) السابق حـ١/٤١/٥٩/٦٤/٤٤/١١٢.

(٢) النزهة ص ١٠-٢٦.

والوصايا. وهي كلها أمور حكمية. وأخيرا يظهر علم الطب الخاص في الأمراض الباطنة عضوا عضواً، من الرأس إلى القدم، من أعلى إلى أدنى، وفي الأمراض الظاهرة[1]. وداود مثل ابن سينا الرئاسة في القلب على عكس أبقراط وجالينوس حيث الرئاسة الدماغ، مما يعبر عن جوهر حضارتين، القلب والعقل. ويرتبط علم النفس بعلم الطب لوضع علم الطب النفسي أو علم النفس الطبي، أو علم نفس الحواس[2]. وهنا يدخل السحر لأنه من أثر العالم العلوي على العالم السفلي. والفراسة جزء من الطب، معرفة الأمراض عن طريق قوانينها الحسية، معرفة الداخل عن طريق الخارج.

ويعتمد على القياس والتجربة لبيان وحدة الوحي والعقل والطبيعة. ولا ريب من القياس والتجربة على الحيوانات من أجل معرفة شخصية الانسان. لذلك تكثر عبارات "وهذا من مجرباتنا"، "ومن المجرب فيها"... الخ. وتظهر العبارات الدالة على مسار الفكر في هذه المرحلة المتأخرة مما يدل على أن الفكر لم يتوقف حتى في عصر الشروح والملخصات. وهي العبارات الدالة على ما يتم وما سيتم[3]. والعمل وحدة واحدة بالرغم من قلة الاحالات إلى مصادر أخرى مثل "كتاب البلدان". ويظهر أسلوب الاعتراض والرد عليه مسبقا أسوة بالعلوم العقلية. وفي نفس الوقت يخاطب القارئ لمشاركته في الفكر والاستدلال[4].

ومن الوافد يتصدر جالينوس ثم أبقراط ثم المعلم والحكيم باللقب وليس بالاسم ثم فيثاغورس وفوفوريوس ثم بطليموس وأفلاطون وديموقريطس وديسقوريدس وأندروماخوس وروفس وأنباذقليس وسقراط وخطافورس[5]. كما تظهر صفة يونانية كثيرا مما يدل على التمايز بين الوافد والموروث. ويشار إلى بعض الكتب مثل أسطرنوميا وأرثماطيقي وكتب السماع. ومن أسماء الفرق يظهر الحكماء على الاطلاق دون تحديد واقد أو موروث ثم الفلاسفة. كما تظهر أسماء أماكن مثل رومية والافرنج.

---

(١) الكتاب الأول من المبادئ العامة للطب مثل المزاج والأخلاط والعناصر . والثاني أفضل من الأول تنظيرا أو تركيزاً ويخلو من إضافة الطلاب. والجزء الثالث الذي به السحر والخرافة من إضافة الطلاب.

(٢) السابق حـ٢ ص٦٢/١٨١/١٠١. حـ ٣ ص ٢٩/٣٤/١٧٩-١٨١.

(٣) السابق حـ١ /٩/١٢٧/١٧٢/١٨١/٢٦٩/١٤٢/٢٢٩.

(٤) السابق حـ١ / ٩-٣٥/٣٦/٤٩/٥٧/٨٨/١٥١/١٧٣/١٧٤/١٧٨-١٧٩/١٩٠/١٩٣/١٩٦/٢٢٤/٢٣٦/ ٣٠٩ حـ٢/١٠/٤١ حـ٣ /٤٧/١٥٢/١٦٠.

(٥) جالينوس (٣٤) أبقراط (٢٩)، المعلم (١٨)، الحكيم (٩)، فيثاغورس، فرفوريوس، فليمون الرومي، الطرطوسي (٢)، بطليموس، أفلاطون، ديسقوريدس، أندرماخوس، مظافورس، روفس، أنبادقليس، سقراط، اركيغانس، هرمس (١).

وما زالت بعض الألفاظ اليونانية المعربة حتى هذا العصر المتأخر مثل أسطغورياس أى المنزل ولوازمه. ولم يعد لفظة الحكمة يشير إلى الوافد بل الحكمة ذاتها دون تمايز بين الوافد والموروث. ونظرا للبعد عن الوافد يتم التعريف بالبعض فان أندروماخوس من المشائين، وفوطاغورس يعنى صاحب المرتبة أتى بعد أرسطو. وتنقل بعض النصوص المترجمة. بل قد يختفى اللفظ الوافد ولا يبقى إلا الموروث قبل السياسة الملكية والسلطانية. وعندما يشار إلى جالينوس فليس المقصود بداية الوافد عند اليونان بل استمرار تراثه عند المتأخرين، من حضارة إلى حضارة [١].

ومن الموروث يتصدر الشيخ ثم أبو الفرج المالطى ثم المسيحى ثم الرازى وصاحب الحاوى والكامل ثم الصابى ثم المعلم الثانى[٢]. والشيخ ابن سينا من أتباع المعلم الأول وهو معلم الطب. وتذكر أقواله فى الشفاء. والرازى والمعلم الثانى أهم من ابن رشد. وتذكر الألقاب قبل الأسماء فى الموروث أيضا مثل الصابى، المالطى وليس فى الوافد فقط. ولا تظهر أعلام أخرى مثل ابن النفيس. ويوصف الرازى بأنه من الاسلاميين إحساسا بالتمايز بين الموروث والوافد، كما أن جالينوس من اليونانيين. ومن أسماء البلدان يظهر العدد الهندى ثم الدار صينى ثم الفارسى ثم الرومى ثم مصر والأرمنى ثم الحبشة والعرب والحجاز والشام وصفا للأدوية ومصادرها. ومن الفرق يذكر حكماء الهند وحكماء النصارى وأهل الشرع والمتأخرون وأهل الطبيعة ومحققوا الفلاسفة. وتظهر بعض الموضوعات الكلامية مثل الآجال والأرزاق. وتستعمل بعض المفاهيم الأصولية مثل عموم البلوى.

ويظهر اتفاق العلم والدين، القرآن والطب، الحديث والعلاج فى هذه النصوص المتأخرة. الله حكيم وضع الحكمة فى الطبيعة وهى أصول الطب. فكل ما يحدث فى الطبيعة من تغير يفتقر إلى الايجاد الالهى. وفى ظواهرها عجائب الحكمة الالهية. وحوادثها من مقتضيات عناية الحكيم [٣].

---

(١) النزهة ص ٩-١٠/٢٤٨/١٥٩/٢٠٩.

(٢) الشيخ (١٤)، أبو فرج المالطى (٢٦)، المسيحى، الرازى وصاحب الحاوى والكامل (٧)، الرازى (٦)، المعلم الثانى (٥)، ابن رشد، السهروردى، أبو البركات، يوحنا، الامام، بختيشوع، السويدى، سليمان، آدم (١)، عود هندى (٢٠)، دار صينى (٩)، الفارسية (٥)، مصر، الروم، الحجر الأرمنى (٤)، الحبشة، العرب الحجاز، الشام (١)، أهل الطبيعة، محققوا الفلاسفة، أهل الشرع، المتأخرون، حكماء النصارى، حكماء الهند (١).

(٣) السابق حـ١ ٣٥/٨٣/٢٠٩/٣٤.

يساعد الطب على الإيمان كما يساعد الإيمان على الطب. التوفيق بين الدين والعلم ممكن، والخلاف بينهما فى الايجاب أى فى الضرورة. فى العلم موجباته الاسباب، وفى الايمان موجباته الحكمة الالهية. فإذا قال أهل الشرع أن ما يحدث فى الطبيعة بقدرة الله والطاقة وصناعته فذلك لا يناقض العلم، وإنما الخلاف فى الايجاب. فإذا رأى الرسول الغيب فان ذلك يُعتبر نقدا للحسيين الذين يقصرون المعارف على الحس. وكان أول ما يعتبر به الحكماء التشريح لأنه يزيد الايمان بالصانع الحكيم ويرشد إلى مواقع الحكمة كما لاحظ ابن سينا.

وتظهر الآيات القرآنية والأحاديث النبوية لتفسير الطب أو ليفسرها الطب وذلك مثل آية التطور ﴿ ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين، ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين﴾ . وهو ما عادل التفسير العلمى للقرآن الآن، ومثل آية ﴿ فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر﴾ فلا خلاف بين التطور والشرع. وإذا نهى الشرع عن البحث فى الروح﴿ قل الروح من أمر ربى﴾ فإن الغاية من هذا الزجر حب الاستطلاع وبالتالى الحث على العلم، والنفس مولعة بالبحث عما نهيت عنه. وقد يكون الهدف هو البحث فى البدن. فالطب هو علم الابدان كما أن الدين هو علم الأرواح. وقد أشار القرآن إلى علم الفراسة فى آية ﴿ إن فى ذلك لآيات للمتوسمين﴾. وفى الحديث "ان خلق أحدكم ليجمع فى بطن أمه أربعين يوما" مما يدل على التطور فى الزمان قبل الولادة وبعدها. الطب مصداق للحديث[1]. وفى الحديث، "تداووا فإن الذى أنزل الداء أنزل الدواء"، "الدواء من الداء". فالله هو سبب المرض والعلاج[2].

وفى البسملات والحمدلات تظهر وحدة الحكمة الالهية مع الحكمة الطبيعية. فالأجرام تسجد لله صاغرة، والأخلاط تمتزج بحكمته خادمة له متصاغرة. وأنعم الله على الأعضاء ببعث الأرواح، وجعل الأفعال غايات القوى، واستمداد العصمة والتوفيق من واهب العقل. والله أعلم بحقائق الأمور. وكل شئ يتم بمشيئته وبإذنه. والله الموفق للصواب، وإليه المرجع والمآب، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، وهو نعم الوكيل، والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه. ويتوارى مدح السلطان إلى مدح الشيخ، سلطان العلم بشعر ركيك لمدح مذموم[3].

---

(١) السابق جـ١ /٨٢/١٥٦/١٤٠/١٦٥.

(٢) السابق جـ١ /١٤٦/٢٦٨/١٤٣/١١٧/٢١٧، جـ٣ / ١١٧-١١٨/١٧٤.

(٣) السابق جـ١/٢-٥/٦/١٦٣/٢٣/٣٢/٨٣/١٧٢/٢١٥/٢٤٧/٢٨٩، جـ٣ / ١١١، جـ٢/ ٨٨.

٢- القليوبى. وتجمع "تذكرة القليوبى فى الطب والحكمة" للعالم العلامة والبحر الفهامة الشيخ أحمد القليوبى من علماء القرن الحادى عشر بين الطب والحكمة لبيان أن الطب جزء من الحكمة الطبيعية بصرف النظر عن ألقاب التعظيم والتبجيل التى تغلب على طرقية العصر[١]. وهو أقرب إلى الإبداع الخالص فى هذا العصر المتأخر. إذ لا تتجاوز الاحالات إلى الوافد جالينوس، ولا يتعدى الموروث حكاية ظرفية عن ضعف بصر أحد الأولياء فرأى النبى وشكى له فأمره بالاكتحال بحروق قشر اللوز الحلو. كما يذكر العود الهندى والهندبا وطاعون مصر والشب اليمانى وغيره[٢]. يعتمد النص على الأقل الخالص وفى نفس الوقت يجمع ما تفرق من تصانيف ويغنى عنها كالسهل الممتنع. ويصنف الأمراض من أعلى إلى أدنى فى البدن. وفى البسملة والحمدلة تظهر العبارات الدينية الطبية مثل الحمد لله الذى جعل نوع الانسان أكمل الأنواع وميزه بالنطق والادراك والاختراع وجعل صحة بدنه وعقله سبب وجوده والصلاة على محمد الذى اعتدل فى الجسم والأخلاق والطباع وعلى آله وصحبه الاتباع. لا دواء ولا داء الا بمشيئة الحكيم الأقدس. وهو الأعلم والملهم للصواب. وتتدخل الخرافات برسم ما ينفع الطاعون من الطلاسم تكتب فيها البسملة وآية ﴿ أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها﴾ أو ﴿ ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى بل لله الأمر جميعا﴾، وعدد آخر من الآيات مع بعض الأسماء الحسنى مثل: فرد، حى، قيوم، حكم، عدل، قدوس فى شكل رباعى إلى آخر ما هو معروف من الطب السحرى الخرافى. ويخاطب القارئ، فالقارئ جزء من الخطاب حتى هذا العصر المتأخر.

رقيب	مقتدر
خلاق	عليم

٣- المنذرى. وكعادة كل الأشكال الأدبية فى صلة الوافد بالموروث، تنتهى كلها فى القرون المتأخرة بسيادة الموروث الخرافى الشعبى سواء فى الطب أو فى الفلك، فى بدن الانسان أو فى بدن الكون، فى العالم الأصغر أو فى العالم الأكبر. فإذا كانت "تذكرة داود" أو القليوبى هو النموذج للطب الشعبى فان "**كشف الأسرار الخفية فى علم الأجرام السماوية والرقوم الحرفية**" للعلامة عمر بن مسعود بن ساعد المنذرى (١١٦٠هـ) يعتبر

---

(١) تذكرة القليوبى، مكتبة القاهرة (د. ت). وتقرأ التاء بالفتحة والكسر.

(٢) السابق جـ١/٥/١٧/٢٩/٢/٦٥/٧/٥٠/٦٦.

نموذج الفلك الشعبى، والتحول من علم الهيئة أو علم النجوم إلى علم التنجيم [1].

وفى هذه الحالة تقل دلالة الموروث والوافد، العنصرين المكونين للابداع الفلسفى لصالح الواقع النفسى والاجتماعى للعلوم الاسلامية التقليدية. ويتضخم هذا المكون الثالث لدرجة احتوائه للمكونين الأولين. فالموروث هو الموروث الخرافى الأسطورى الموضوع. والوافد هو الوافد الخرافى الشعبى المنحول. يصبح الابداع غير مشروط بمكوناته الأولى وتعبيرا عن الخيال الحر. فيتحول العلم إلى خرافة، والواقع إلى أسطورة، والعقل إلى خيال.

تظهر أسماء الأعلام فى الجزء الأول وتقل تباعا حتى تختفى كلية الجزء السادس. البداية بالتاريخ، والنهاية خارج التاريخ. كما يقل عالم الحروف الرقمية فى الجزء الأول ويكثر تباعا حتى يسود كلية الجزء السادس. البداية بعالم الأشياء، والنهاية بعالم الرموز.

يتضمن الجزء الأول "فى تقرير أصول علم النجوم والاضطرار اليه وفيما يخص كل برج وينسب اليه" واحدا وأربعين بابا تبين فضل علم الحكمة، والنجوم والبحث عن الأسرار وأثر عالم النجوم والسحر المبنى على تصفية النفس، وكلها بإذن الله [2]. وكلها إسقاطات من النفس على الطبيعة، والانشاء على الخبر.

---

(١) عمر بن مسعود بن ساعد المنذرى: كشف الأسرار المخفية فى علم الأجرام السماوية والرقوم الحرفية، ستة أجزاء فى ثلاثة مجلدات، أمون، القاهرة ١٩٨٣/١٩٨٦.

(٢) وهى": ١- علم الحكمة والنجوم والبحث عن الأسرار ٢- شرط الاشتغال به. ٣- تقرير الأصول الكلية والنظر فى ماهيته وأسبابه الفاعلية وأحوال من يمارسه،والارادات والتأثيرات. ٤- معرفة طبائع الكواكب والبروج نظرا أم عملا. ٥- السحر المبنى على تصفية النفس وتعليق الوهم. ٦- ضبط أعمال صاحب الصنعة. ٧ - الدلائل على تأثير النجوم باذن الله. ٨ - باقى الاستدلال. ٩ - ضبط أبواب العلم. ١٠- تقسيم الفلك اثنى عشر برجا. ١١- طبائع البروج. ١٢- البروج المذكرة والمؤنثة والنهارية والليلية. ١٣- صفات البروج. ١٤- ما أضيف اليها. ١٥- ألوان البروج. ١٦- طبائعها ودرجاتها. ١٧- الشمالية والجنوبية منها. ١٨- طبائعها وحظوظها. ١٩ - مثلثاتها وأربابها. ٢٠- المنقلبة والمجسدة. ٢١- المستقيمة والمعوجة والمتفقة (الطبيعة) والمتضادة. ٢٢- اتجاهات الفلك الأربعة. ٢٣ - بيوت الفلك. ٢٤- أحوال مقايسة البروج. ٢٥ - مناظرتها وأسمائها. ٢٦- تفاضلها فى القوة. ٢٧- مراتبها من الحظوظ. ٢٨- دلالتها. ٢٩- قسمة منازلها. ٣٠- منازلها مع القمر. ٣١- أشهرها الرومية وموقعها من الشمس. ٣٢- زوال الشمس زيادة و نقصانا. ٣٣ - الاستقواء بالمنازل. ٣٤- فصولها وطبائعها. ٣٥- قياس ظل البروج بالأصابع. ٣٦- أجزاء الساعات. ٣٧- طوالعها. ٣٨- مغيب القمر وطلوعه. ٣٩- بروج القمر. ٤٠- سير الكواكب فى البروج. ٤١- حركات الأفلاك ومواضع الكواكب الثابتة وسيرها فى البروج.

والجزء الثانى "فى أحوال الكواكب السبعة السيارة ومعرفة طبائعها وما يعرض لها من السعادة والنحوسة وفيما يضاف لها وينسب إليها وفى قوتها وضعفها ودلالتها" يتضمن ثمانين بابا تختلط فيها الطبيعة بالانسان، ويتداخل فيها الموضوع بالذات، ويظهر فيها أثر الكواكب فى مصائر البشر سعادة وشقاء، وإسقاط العالم الانسانى على العالم الطبيعى فى قسمة الكواكب إلى مذكر ومؤنث وتفاوتها فى مراتب الشرف، والصداقة والعداوة، وشقائها ونحسها، ويقينها وحيرتها، وربط الكواكب وحركاتها على أفعال البشر مما يسلب حرية الانسان وقدراته الطبيعية، وقضاء حوائجه أو وقفها. فهى عالم إنسانى من الاستعلاء والقوة والفاعلية والكمال [1].

والجزء الثالث "فى تسخير الكواكب وفيما ينسب إلى كل كوكب مكنها من الأعمال والمطالب فى ساعاتها". ويضم ثمانية وعشرين بابا، تدور معظمها حول مفهوم التسخير،

---

(١) وهذه الأبواب هى باختصار: ١- حال الكواكب السبعة من الحرارة والبرودة، والرطوبة واليبوسة، ٢- حالها فى السعادة والنحوسة، ٣- ذكورتها وأنوثتها، ٤- ليلتيها ونهاريتها، ٥- تشريقها وتغريبها، ٦ - مدة استقامتها، ٧- مدة رجوعاتها، ٨- رباطاتها، ٩- مدة الاحتراقين، ١٠- ظهورها واختفائها، ١١- قربها وبعدها عن الشمس، ١٢- أنوارها كأجرام، ١٣- إضافاتها من الكواكب، ١٤- تعلقاتها بالبروج، ١٥- وبالاتها، ١٦- أشرافها، ١٧- هبوطها، ١٨- أرباب المثلثات، ١٩- النهيرية، ٢٠- وجوه البروج، ٢١- الدريجان ، ٢٢- الكواكب الخمسة المتحيرة والبروج الاثنا عشر، ٢٣- اثنا عشرية البيوت للكواكب، ٢٤- حيرتها، ٢٥- فرحها، ٢٦- ترحها، ٢٧- الدستورية، ٢٨- صداقتها وعداواتها، ٢٩- مراتبها، ٣٠- اتصالها بالقمر، ٣١- اتصالها وانفصالها، ٣٢- تفاصيلها، ٣٣- حالاتها، ٣٤- قواها واستعلاء بعضها على بعض، ٣٥- ضعفها وإضرارها بالمواليد، ٣٦- سعادتها ونحوسها، ٣٧- صلاح القمر، ٣٨- فساد القمر، ٣٩- حظوظ الكواكب وبيوتها، ٤٠- أوجاتها، ٤١- صعودها وهبوطها وسرعتها وبطؤها، ٤٢- طبائعها، ٤٣- عروضها فى الشمال والجنوب، ٤٤- شهاداتها فى قضاء الحوائج، ٤٥- شهادات صاحب الطالع، ٤٦- قضاء الحوائج وفسادها، ٤٧- قبولها لبعضها البعض، ٤٨- صحة قابل التدبير، ٤٩- مقاصد أدلة كمالها، ٥٠- الأمور الكلية المحظورة، ٥١- دليل الطالع، ٥٢- معرفة الضمير، ٥٣- أحوال السائل، ٥٤- حمل السهام، ٥٥- الاختيارات، ٥٦ – تفاصيلها، ٥٧- اتصال القمر بالكواكب، ٥٨- ممازجتها بزحل، ٥٩- اتصالها بالمشترى، ٦٠- اتصالها بالمريخ، ٦١- اتصالها بالشمس، ٦٢- ممازجتها بالزهرة، ٦٣- ممازجتها بعطارد، ٦٤- حلولها فى أشرافها، ٦٥- رأسها وذيلها، ٦٦- ظهورها بالمشرق، ٦٧- غرسها، ٦٨- رجوعها، ٦٩- استقامتها، ٧٠- اختياراتها، ٧١- طبائعها وتأثيراتها، ٧٢- سائر أقسام الصناعة الاتفاقية الفلكية، ٧٣- الاستدلالات النجومية، ٧٤- النيران، ٧٥- تعلقها بالقمر والشمس، ٧٦- المتجانسات فى السعادة والنحوس، ٧٧- الكواكب المتحيرة، ٧٨- مدة الكواكب والبروج والمنازل، ٧٩- الأفلاك والبيوت والوبال والشرق والهبوط والحظوظ والأفراح والأتراح والمعادن والطبائع، ٨٠- صاحب السنة والوالى عليها من الكواكب.

تسخير الكواكب فى حياة الانسان عن طريق السحر، كوكبا كوكباً، القمر وعطارد والزهرة والشمس والمريخ والمشترى وزحل، ودفع مضارها وكيفية الاستعانة بها وحمدها وأثرها فى زرع المحبة والكراهية فى نفوس البشر وطرق عمل الطلسمات فى مختلف ساعات النهار [1].

والجزء الرابع "فى علم الحروف المرقومة وما يخصها من الأسرار المكتوبة" يعرض سر حرف حرف من الحروف الأبجدية بلا فصول أو أبواب مثل باقى الأجزاء ضاربا المثل بمعنى البسملة كما هو الحال عند ابن عربى وتقابلها مع تاريخ النبوة. فلكل نبى حرف ورقم وما يقابله من الطبائع. ويبدو أن تتبع الحروف الثمانية والعشرين ابتداء من الألف حتى الياء أغنى عن تقسيم هذا الجزء الرابع إلى أبواب وفصول. وحروف أوائل السور جزء من النظرية العامة فى الحروف الرقمية. وكل حرف له شكل ومضمون يميلان إلى درجة المعرفة ومرتبة الوجود. والحروف ليست مرتبة أبجدياً بل يتغير ترتيبها وفقا لنسق خاص.

والجزء الخامس "فى علم التكسير وحزب الأوفاق واستخراج الأسماء والأقسام وإظهار الأرواح النورانية". ويضم ثلاثين فصلا حول أثر أفعال الاقلاك فى العالم الانسانى. ويغلب عليها موضوع الحروف، طبائعها ومراتبها، وتصرفها، وأنواعها، وأسرارها، ومعانيها، واستخراج الحقائق منها، والأصول اللازمة لها، وطرق تكسيرها، ووجودها فى أم الكتاب، وطبائعها، سعدها ونحسها، منافعها ومضادها، وما ينسب إلى الأيام السبعة من الكواكب والآيات والملائكة العلوية والسفلية والعرشية، وكيفية العمل فى كل يوم، وتسبيح الملائكة، وتجريد النفس، وشرح تركيب الغزالى وفق زحل، وصفة

---

(١) وهى: ١- الطباع التام فى الانسان من النفوس الفلكية. ٢- أنواع السحر. ٣- أصول الصناعة. ٤- كيفية التعامل لتسخير الكواكب. ٥- تسخير القمر. ٦- تسخير عطارد. ٧- تسخير الزهرة. ٨- تسخير الشمس. ٩- تسخير المريخ. ١٠- تسخير المشترى. ١١- تسخير زحل. ١٢- دفع مضاد تسخير الكواكب. ١٣- دخن الكواكب. ١٤- قراناتها. ١٥- كيفية الاستعانة بها. ١٦- كيفية التسابيح لها والثناء عليها. ١٧- أسماء أرواحها. ١٨- أسماؤها الوهمية. ١٩- عملها فى الحب والبغض والتمريض والنوم والألسنة والسحر. ٢٠- الاشكال المتقابلة والمتنافية والمتشابهة فى أسباب الحب والدفع. ٢١- نجورات الكواكب. ٢٢- أعمال الطلسمات. ٢٣- كيفية الطلسمات. ٢٤- الأعمال. ٢٥ – ساعات الأيام والياليى. ٢٦- أسماء وساعات النهار. ٢٦- ساعات الليل. ٢٧- ساعات النهار. ٢٨- الساعات المذكرة والمؤنثة والسعدة والنحسة.

الأقلام، وآداب الدعاء وأوقاته وفضله، وشروطه وآدابه [1].

والجزء السادس "إغاثة اللهفان فى علم تسخير الروحانية والجان" أشبه بكتاب مستقل خاتمة للكتاب نفسه. ولا ينقسم أيضاً إلى أبواب أو فصول. فالتصوف يرى العالم بعين الوحدة المطلقة. وتتكشف الأسرار المخفية فى الأحجية والطلسمات.

ولما كان "تمثل الوافد مع تنظير الموروث" حالة افتراضية صرفة فالتعادل ليس وسطا حسابياً بل هو تعادل نسبى. قد يزيد الوافد على الموروث وهو الاحتمال الأقل. وقد يتضخم الموروث على حساب الوافد وهو الأغلب. ويقل الوافد والموروث تباعا. يظهران فى المجلد الأول، ويقلان فى المجلد الثانى، ويكاد يختفيان فى المجلد الثالث. ما زالا يمثلان نقطة بداية فى التاريخ، تاريخ الآخر اليونانى وتاريخ الأنا العربي الإسلامي. ثم يتحول النقل التاريخى إلى إبداع خارج التاريخ.

ويتداخل الوافد الشرقى مع الوافد الغربي. فالشرق موطن السحر، والغرب السحري أثر من آثار الشرق. ويتصدر الوافد البابلى مثل نتكوشا المذكور عند ابن وحشية فى "الفلاحة النبطية"[2]. ويذكر أيضاً أبوراطيس البابلى وأسماء أخرى شبه هندية يونانية مثل بهرماطوس، سمهياطس. ويذكر الكلدانيون باعتبارهم رواد علم الفلك الأوائل والعالمين بأسرار النجوم. وهم فى نفس المنطقة الجغرافية التى نشأت فيها الصابئة عبدة الكواكب، دين قوم إبراهيم. ويذكر كسرى من الموروث الفارسى.

ومن الوافد اليونانى يذكر أرسطاليس وهرمس ثم بنداغوس والاسكندر، وبطليموس،

---

(١) وهي: ١- أفعال الأفلاك وآثارها فى العالم الانسانى. ٢- أصل وجود الحرف من العدم. ٣- أسرار أرواح الحروف. ٤- طبائعها ومراتبها. ٥- الأحرف السعيدة. ٦- التعرف بها. ٧- التعرف بالأحرف النحسة. ٨- التعرف بالأحرف الممتزجة. ٩- الأحرف النورانية. ١٠- الأحرف المظلمة. ١١- الحروف الناطقة. ١٢- أسرار الحروف. ١٣- التكسير والتركيب والمزج والبسط. ١٤- خواص الأعداد والأوفاق وتعلقها بالكواكب. ١٥- استخراج أحلال الأوفاق. ١٦- استخراج القسمة الروحانى والخادم من الحروف. ١٧- أحوال المتصرف وشروطه. ١٨- معانى التكسير وأسراره. ١٩- طرقه. ٢٠- أسماء الله الحسنى واسم الله الأعظم. ٢١- تأثيرات كل اسم. ٢٢- الحروف الساقطة من أم الكتاب وأشكالها وطبائعها وسعدها ونحسها ومنافعها ومضادها. ٣- الأيام السبعة من الكواكب. ٢٤- العمل اللازم المطلوب فى كل يوم وخدامه وأعوانه وأسماء أرواح الكواكب والأيام. ٢٥- تسبيح الملائكة. ٢٦- تجريد النفس وتهذيبها وتصفيتها. ٢٧- شرح تركيب الغزالى وفقا لزحل. ٢٨- صفة الأقلام. ٢٩- الدعاء وآدابه وأوقاته وفضله. ٣٠- شروطه.

(٢) من النقل إلى الابداع جـ١ النقل، الفصل الثالث، الانتحال، ص ٣٨٢-٣٩٥.

وأسطاليوس ثم سقراط، وأبقراط. وأرسطو هو المنحول الاشراقى الصوفى وكذلك كل فلاسفة اليونان. أما هرمس فهو زعيم السحرة وهو إدريس النبى [1].

وبالرغم من ظهور أسماء بعض الفرق مثل الحكماء والفلاسفة والقدماء والمشايخ القدماء والحكماء الفلسفيون وهو ما يشير عادة إلى حكماء اليونان إلا انه يشار إلى فرق شرقية أخرى، ليس فقط المعروفة منها مثل الكسدانيين وهم الكلدانيون بل أيضاً غير المعروفة مثل الأنوسيين والزماطرة.

والموروث الغالب هو القرآن والحديث. والغالب على الآيات، آيات المعجزات والسحر وغرائب الطبيعة وعجائب الكون أو آيات النور والاشراق والإيمان أو آيات الكون، الخلق والبعث، أو آيات المعاد. فلا فرق فى الكون بين الدنيا والآخرة. ويتحول القرآن إلى آيات سحر ومعجزات لشفاء الأمراض بكتابتها فى الأحجبة والطلسمات. ويتحول التنجيم إلى الطب. ومعظم الأحاديث موضوعية عن الحروف والأرقام والكتب المنزلة. وتدخل الاسرائيليات، ليس فقط أنبياء بنى إسرائيل، آصف بن برخيا، وسليمان وموسى، بل كل الأنبياء الذين كانت لهم علاقة بالخوارق والمعجزات. فالدين واحد.

ومن الموروث يذكر أبو معشر البلخى ثم أبو العباس البونى، وقسطا بن لوقا، وعلى بن أبى طالب ثم ابن سينا، والخازن والأصفهانى، وابن سيار، والجمعينى، والقمى، والخياط، والغزالى، وجابر بن حيان الصوفى، والكوفى، والحامدى وأبو سعيدى. وواضح تداخل الفلاسفة مع الصوفية والعلماء والصحابة فى رؤية واحدة، العلمية الصوفية [2]. وأسماء البقاع كلها عربية لا يونانية. وتكثر البسملات والحمدلات وكأن الإيمان الدينى قادر على فك أسرار الطبيعة. كما تتردد عبارة "الله أعلم" مما يوحى بالأسرار، وباتساع محيط العلم.

وهو كتاب تجميعي شامل. يبدأ بالفلك وينتهى بالطب والكيمياء. يعتمد على نصوص سابقة يعاد توظيفها واستخدامها فى الهدف الجديد الذى يعبر عنه العنوان، كشف الأسرار الخفية فى علم الأجرام السماوية. وقد يساهم الناسخ فى التجميع. فالهدف هو ملأ القالب وليس المادة. ويبدو ذلك فى الجزء الرابع عن الحروف الرقمية المقتبس من كتب

---

(١) ابن وحشية (٤)، أرسطاليس، بهرماطوس، هرمس، تنكلوشا (٣)، بنداغوس، سطاليوس، بطليموس، الاسكندر (٢)، سقراط، بقراط، سمهياطس، كسرى، أبوراطيس البابلى (١).

(٢) أبو معشر البلخى (٥)، قسطا بن لوقا الغزالى (٢)، ابو العباس البونى، على بن ابى طالب، الخازن، الأصفهانى، ابن سينا، الجمعينى، الحامدى، البوسعيدي، القمى، الخياط، جابر بن حيان الصوفى، الكوفى (١).

أخرى لنفس المؤلف مثل كتاب الاقتباس.

تغيب عنه البنية. ويخلو من الأبواب والفصول. بل يخلو من ترقيم الصفحات، مكتوب بخط اليد، بالأسود والأحمر وعلى ورق مطرز محشى بالزخارف، مملوء بالرسوم التوضيحية والجداول بالحروف والأرقام. وتتخلله عبارات غامضة مثل عبارات "شمهورش" فى الثقافة الشعبية لتوحى بعالم الأسرار وحديث الجن. ويعتمد على أسرار الحروف. وهو ما يوحى به الجزء الأخير من العنوان "والرقوم الحرفية" والتقابل بين أسرار الحروف وأسرار الأرقام.

ولا يخلو الكتاب من سجال ضد علم النجوم كعلم طبيعى ينكر أن تكون الأفلاك كائنات حية ناطقة. لم يستمر من الفلسفة القديمة المنطق بل من أضعف أجزاء الطبيعيات وهو علم التنجيم بالرغم من تفرقة الفارابى فى البداية بين العلمين ونقد علم التنجيم فى "ما يصح وما لا يصح من أحكام النجوم". ولا يظهر من موضوعات الفلسفة القديمة إلا فيما ندر ودون أساس علمى أو فلسفى مثل علم الله بالجزئيات.

ويخاطب المؤلف القارئ على عادة المؤلفين المسلمين خاصة إخوان الصفا من أجل تجنيده للدعوة. فليس الهدف هو المعرفة النظرية بل الارشاد العلمى.

ويحال إلى أعمال أخرى مشابهة مما يدل على أن "كشف الأسرار المخفية" ليس حالة فريدة أو مؤلفا واحدا بل يدل على تيار عام فى القرون المتأخرة، فى الفترة الثانية من تطور الحضارة الاسلامية ما بعد ابن خلدون التى حلت فيها الذاكرة محل العقل، والشرح محل المتن، والخيال بدل الواقع، والخرافة بدل العلم[1].

وكما بدأ العرب شعراء، ثم أصبحوا مفكرين وعلماء انتهوا إلى شعراء. فغلب الشعر على العلم، ووجد العرب فى ثقافتهم الأولى هويتهم الأخيرة، وكأن العلوم القديمة التى نشأت فى الفترة الأولى للحضارة الاسلامية كانت مجرد قوسين كبيرين.

الهدف منه السيطرة على عالم الأفلاك والكواكب من أجل إعادة السيطرة على العالم عن طريق أثر الأعلى فى الأدنى، وعالم السماء فى عالم الأرض، والروح فى البدن، فالعجز عن تأسيس العلم الطبيعى والسيطرة على العالم يتحول إلى التأثير فيه عن طريق السحر من خلال الكواكب والأفلاك، والملائكة والأرواح، والجن والشياطين كما

(١) مثل "أسرار الأدوار" و"تشكيل الأنوار فى أسرار الحقائق الكائنة" و"الأسرار النورية فى النورانية".

هو الحال فى قراءة الطالع، والسعود والنحوس طبقا للأبراج فى الثقافة الشعبية. لذلك تظهر لغة الملوك والسلاطين والرؤساء كما هو الحال عند الصوفية والقاب الأقطاب والأبدال. فمنهم تنشأ السلطة وتصدر الأوامر وما على الناس إلا السمع والطاعة. ويكثر استعمال لفظ "التسخير" وهو مفهوم قرآنى، تسخير الله الطبيعة لصالح البشر عن طريق العلم بقوانين الطبيعة. وهنا عن طريق السحر وتأثير القوى الروحانية فى مسار الطبيعة وأحداث الواقع والتاريخ.

كلها إسقاطات انسانية. غياب الواقع وحضور الوهم. لا فرق بين الدنيا والآخرة، بين الخلق والبعث، بين المادة والروح، بين التنزيل والتأويل، بين الذهاب والاياب فى إطار حركة كونية روحية للخلاص مما يأذن بنهاية الفترة الثانية فى تطور الحضارة الاسلامية وبداية فترة ثالثة فى أعقاب التحرر من الاستعمار الحديث والصلة بالوافد الغربى الجديد.